في التطور اللغوي

التغير الدلالي لألفاظ القرآن الكريم

في الاستعمال اللغوي الحديث

إعداد

دكتور محمد سعد محمد السيد

مدرس اللغويات بكلية التربية ببور سعيد

جامعة قناة السويس

مجلة كلية دار العلوم العدد الحادي عشر يونيو٢٠٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللغة – كما هو معروف – ظاهرة اجتماعية متطورة ، ولكونها ظاهرة اجتماعية فإن تطورهـا مرهون بتطور الحياة بوجـه عام ، والتطور الحيـاتي تطور مطرد في شتى المجالات ، كظهور المخترعـات الحديثة ، والعوارض السياسية ، والظواهر الاجتماعية ، والمتغيرات الاقتصادية ، التي تتكشف يوما بعـد يوم ، فكان لا بد للغة أن تواكب هذا التطور السريع . والحقيقـة أن أكثر جوانب اللغة تطورا هو الجانب الدلالي للألفاظ ، فدلالة ألفاظ اللغـة في تطور مستمر ، من حيث كانت الدلالة ناجمة عن تواضع اجتماعي ، وهـذا التواضع عرضة للتغيير والتطور ، ولذا كان تغير الدلالة لتغير المواضعة وفق ما تمليه الظروف المستجدة في حياة الجماعة اللغوية [١] .

وتجدر الإشارة إلى أن التطور المقصود عند علماء اللغة لا يعني أكثر من مرادف لكلمة " التغير " ، ولا يقصد به ما عنـاه غيرهم من كونه حكمـا معياريـا يقترن بالصواب والخطأ ، كتطور الآلات إلى الأفضل لتؤدي عملهـا بكفاءة أعلى وأجود . ومن ثم كان التغير هو اللفظ الأكثر مناسبة ليكون عنوانا لما نحن بصدده في هذه الدراسة .

وعلى الرغم من أن البحث في دلالات الألفاظ القرآنية وتطورها يعـد من الأمـور التي يتأثم منهـا كثير من الباحثين ، وهم في ذلك متبعـون سلفهم

---

[١] يراجع في ذلك : اللغة : فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة ، ١٩٥٠م ، (ص / ٢٤٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصالح من الصحابة الذين كانوا يتحرجون من التعرض لتفسير القرآن إلا عن علم يقيني ، أقول : على الرغم من ذلك فإن سمو الغاية وشرف القصد يدفعاني إلى خوض غمار هذا الموضوع برفق معتصماً بالله تعالى من الزلل والهوى ، ومستنداً إلى ما أقره علماء التفسير وأهل اللغة والعلم .

وترجع أهمية هذا البحث إلى ما يلي :

- إن تطور دلالة الألفـــاظ القرآنية قد يؤدي ببعض هذه الدلالات إلى الزوال من معجـــم استعمال العامة ، ومن ثم ينغلق على أمثـــال هؤلاء فهم بعض آيات القرآن الكريم .
- وقد يؤدي ببعضها إلى استعلاء غيرها عليها في مجال الاستعمال ، فيترتب عليه فهم الآيات على غير وجهها ، وقد يصل إلى حد استنباط أحكام ليست هي من مقاصد الشارع الحكيم .

وفي هذا البحث سأحاول – إن شاء الله – الوقوف على مظاهر التطور الدلالي الذي طرأ على ألفـــاظ القرآن الكريم وأسبابه وأشكاله وقوانينه ، وذلك بطريقة تطبيقية عملية من خلال مقارنة الدلالات اللغوية لبعض [1] هذه الألفاظ وقت نزولهـــا بدلالاتها في الاستعمال اللغوي الحديث ؛ وذلك بغيـــة فهم النص القرآنـــي الشريف على وجهـــه الصحيح ، وتحديد المزالق التي قـــد يقع فيهـــا المتعرض لتفسيره دون الرجوع إلى منابع التفسير الصافية .

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل .

---

[1] لم أعمد في هذا البحث إلى حصر تلك الألفاظ دفعاً للإطالة ، بل عمدت إلى نمـــاذج من كل نوع تكفي لإثبات ما نحن بصدده .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❖ مدخل :

لما كانت ألفاظ القرآن الكريم جزءاً أصيلاً من اللغة العربية ، نزلت في مكان وزمان محددين ، ثم طال عليها الزمن ، فإنه قد جرى على كثير منها سنن غيرها من التطور ، فاكتسى كثير منها بدلالات غير دلالاتها الأولى وذلك على مستوى استعمال العوام ، وأيضاً على مستوى استعمال كثير من المثقفين والأدباء ، حتى تشربت قلوب كثير من الناس دلالاتها الجديدة ، وحتى إنه قد يخطئ أحدنا فهم الآية الكريمة ؛ لاختلاف دلالة بعض ألفاظها كما هي في لغة العرب عند نزول القرآن عن دلالاتها التي تطورت إليها الآن .

مثال ذلك كلمة " حرج " في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [1] ، فإن المعنى المتبادر إلى ذهن القارئ – مثقفاً أو غير مثقف – أن معنى الآية (لا حياء في الدين) ؛ وذلك بأن معنى كلمة " الحرج " في عرف العامة اليوم هو الخجل والاستحياء ، مع أن معناه في لغة العرب يدور حول الضيق والإثم [2] ، وفي الآية الكريمة معناه الضيق [3] .

وقد يحتمل اللفظ في لغة العرب معنيين ، ثم يأتي في القرآن بأحد هذين المعنيين ، ولكن العامة تحمله على المعنى الآخر لكونه أكثر شهرة ، أو لجهلهم بالمعنى الأول . مثال ذلك كلمة " الغابرين " في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ ﴾ [4] ، فإن المعنى الذي يتبادر إلى ذهن قارئها – وإن كان من

---

[1] (الحج / ٧٨) .

[2] يراجع أساس البلاغة : الزمخشري ، مطابع الشعب ، ١٩٦٠م ، (حرج) .

[3] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، (١٢ / ١٠٠) .

[4] (الأعراف / ٨٣) ، (العنكبوت / ٣٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المثقفين – أن امرأة لوط عليه السلام ستكون كمن هلك في غابر الزمـــان ، أي ماضيه البعيد ؛ ذلك بأن المعنى المشهور لدينـــا اليوم أن الغابر معناه الماضي من الزمـــان خاصة . وإنما معنى الآية الكريمة : أنها كانت من البـــاقين غير الناجين ، فإن لفظ : " الغابر " من الأضداد [١] ، يأتي بمعنى الماضي وبمعنى الباقي . ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث .

وتجدر الإشارة هنا إلى عدد من الأمور المهمة المتعلقة بهذه الدراسة ، وهي :

١. قصدت بتطور اللفـــظ القرآني أن هذا اللفـــظ أو ذاك يُستعمل الآن في غير القرآن بمعنى آخر غير المعنى الذي نزل به القرآن ، ولا يجوز القول بأن هذا التطور يعني جواز حمـــل اللفظ القرآني على المعنى الجديد ، أي على غير معناه الذي نزل به . فكلمة : " يصوِّركم " في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [٢] ، تعني أن الله تعالى قـــد جعل لكل امرئ هيئة مجسمة [٣] . ولا يجوز القول بأنها تعني في هذه الآية الطباعة الفوتوغرافية المعروفة الآن ، بزعم أنها تستعمل اليوم بهذا المعنى ، أو أن الآية قد تحتمل هذا المعنى .

---

[1] يراجـــع ثلاثة كتب في الأضداد : الأصمعي والسجستاني وابن السكيت ، نشرهـــا أوجست هفنر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ص / ٩٧ ، ٢٦٩) ، وكـــذا لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت . والقاموس المحيط : الفيروزآبـــادي ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . وتاج العروس من جواهـــر القـــاموس : محمـــد مرتضى الحسيني الزبيدي ، القاهرة ، ١٣٠٦هـــ ، (غبر) .

[2] (آل عمران / ٦) .

[3] يراجع تفسير القرطبي (٤ / ٧) ، وجاء في القاموس : " الصُورة بالضم : الشكل والجمع صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ " ، ويراجع اللسان أيضاً (صور) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. ليس المقصود بالتطـــور الدلالي هنـــا تغيير دلالة الكلمة إلى دلالة أخـــرى مباينة لها فحسب ، فهـــذا لا شك في كونه من التطور الدلالي ، ولكنّ هناك صوراً أخرى من التطور الدلالي فوق ما ذُكـــر ، منهـــا مثلاً اقتصار دلالة الكلمة – الآن – على أحـــد المعاني التي جاء بها القرآن ، وإهمال المعاني الأخرى في الاستعمال اللغوي ، وهو ما يُطلق عليه تضييق المعنى .
ومنها أيضاً العكس من ذلك ، وهو إضافة معانٍ جديدة لدلالة اللفظ القرآني وهو ما يُطلق عليه توسيع المعنى .

فمن النوع الأول كلمة " أُمَّة " التي وردت في القرآن بمعانٍ ستة [١] :

- القرن من الناس ، وأمة كل نبي مَنْ أُرسل إليهم من كافر ومؤمن ، في نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [٢] .
- الصـــنف والجنس من كل حيّ ، في نحو قوله تعـــالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [٣] .
- الجماعة من الناس وإن قلّت ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [٤] .
- الرجل الذي لا نظير له ، نحو قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [٥] .

---

[1] تراجع هذه المعاني في لسان العرب والقاموس وأساس البلاغة (أمم) .
[2] (الأنعام / ٤٢) .
[3] (الأنعـــام / ٣٨) ، قال أبو عبيدة : " أجناس يعرفون الله ويعبدونه " مجاز القرآن : أبو عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (١ / ١٩١) .
[4] (الأعـــراف / ١٥٩) ، ويراجع هـــذا المعنى كذلك في : الكشاف : الزمخشري ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٧٢م ، (٢ / ١٢٣) .
[5] (الـــنحل / ١٢٠) ، قال الزمخشري : " فيه وجهـــان : أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير ، كقوله :
=

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الحين ، في نحو قوله تعالى : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (١) .

- الدين والملة في نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ (٢) .

أمـــا الآن فإن كلمة " أمة " يكاد يقتصر استعمالها على المعنى الأول ، وبمدلول سياسي بمعنى الجماعة القومية المتفقة في اللغة والثقافة والتاريخ ... الخ .

ومـــن النوع الثاني كلمة : " المظاهرة " ، فهي تعني في التعبير القرآني العون من الظهر (٣) ، كالمساعدة من الساعد والمعاضدة من العضد والمكاثفة من الكتف ، في نحو قوله تعالى : ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٤) .

= لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ فِي واحِدِ

وعن مجـــاهد : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفـــار . والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم : أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير " . الكشاف (٢ / ٤٣٣) .

[1] (يوسف / ٤٥) ، قال الزمخشري : " بعد مدة طويلة " . الكشاف (٢ / ٣٢٤) . ويراجع هذا المعنى أيضاً في: زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، بيروت ، (٤ / ٢٣١) .

[2] (الزخرف / ٢٢ ، ٢٣) ، ويراجع هذا المعنى في تفسير القرطبي (٢ / ١٣٧) قـــال : " ومنه قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ " . (الأنبياء / ٩٢) و(المؤمنون /٥٢) .

[3] جـــــاء في اللسان (ظهر) : " استظهر به ، أي استعان . وظهرت عليـــه : أعنته وظهر عليّ : أعانني ، وتظاهروا عليه تعاونوا ... وظاهر بعضهم بعضاً : أعانه ، والـــتظاهر التعاون ، وظاهر فلانٌ فلاناً : عاونه . والمظاهرة المعاونة . وفي حديث علـــي رضـــي الله عنه أنه بارز يوم بدر وظاهر ، أي : نصر وأعان ، والظهير : العوْن " ويراجع القاموس (ظهر)،والعمدة في غريب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق يوسف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م (ص / ٧٩) .

[4] (الـــبقرة / ٨٥) ، قال القرطبي في تفسيره (٢ / ٣٩) : " تظاهرون تتعاونون ، مشتق من الظهر لأن بعضهم يقوي بعضاً ، فيكون له كالظهر " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أضاف المحدثون لهذه الكلمة دلالة أخرى جديدة ، هي : إعلان رأي أو إظهار عاطفة في صورة جماعية ، وقد أقره المجمع اللغوي [1] .

٣. قد يقع التطور الدلالي على اللفظ القرآني في مستويات الاستعمال اللغوي كافة ، وقد يقع في بعضها ، ومستويات الاستعمال اللغوي ترجع إلى أصلين اثنين : الفصحى والعامية ، ويتفرع عن كل أصل مستويات يصعب التفريق بينها ، ومن ثم فقد ارتضيت مستويات ثلاثة يمكن التمييز بينها ، هي [2] :

- فصحى تنزع إلى تقليد أساليب البلغاء القدماء ، ومثلها الأعلى قائم في الماضي ، ويوشك استعمالها الآن يقتصر على بعض علماء الدين ، وأصحاب الثقافة العربية ، ويُطلق عليها : " فصحى التراث " .
- وفصحى أخرى تتحرر من هذا كله ، مع التزامها بالمستوى الصوابي للغة ، وتمثل السجل المكتوب لعلوم العصر ، ويلتزمها عامة المثقفين والصحفيين والإعلاميين ، ويُطلق عليها : " فصحى العصر " .
- العامية ، وأعنى – في هذا البحث – العامية المصرية دون غيرها من العاميات العربية ؛ لأنها أكثر انتشاراً من العاميات الأخرى ، بفضل وسائل الإعلام المصرية وانتشارها في سائر البلدان العربية ، ومنها أن المصريين أنفسهم يمثلون نصف العرب عدداً تقريباً .

قلنا إن التطور الدلالي للفظ القرآني قد يقع في مستويات الاستعمال اللغوي كافة ، وقد يقع في بعضها ، ومثال ذلك كلمة " الأيام " ، فإنها تستعمل في العامية بمعنى أبعاض الزمن المعروف ، ولا تتعدى ذلك المعنى . وفي

---

[1] المعجم الوسيط : المجمع اللغوي ، دار الدعوة ، إستانبول – تركيا ، (ظهر) .

[2] يراجع هذا التقسيم في : دراسات في علم اللغة : كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ١٩٩٨م ، (ص / ٢٢٧ : ٢٢٨) ، وكذا : علم اللغة الاجتماعي : صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م (ص / ٢٥١) وما بعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فصحى العصر تستعمل بهـذا المعنى وبمعنى الوقـائع والانتصارات ، في نحو قولهم " أيام العرب " . وفي فصحى التراث تستعمل بهذين المعنيين ، بالإضافة إلى معنى النعم والآلاء ، أو معنى النقم والبلاء (١) ، نحـو قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾ (٢) .

٤. سيتوجه حديثنـا إلى تطور الألفاظ القرآنية على مستوى الاستعمال العامي والفصيح فصحى العصر ، أمـا بالنسبة لمستوى فصحى التراث فإن ألفاظ القرآن الكريم كلهـا مستعملة الآن – في هـذا المستوى – بمعانيها القرآنية التي نزل بهـا ؛ ذلك بأن الله تعالى قـد تكفّل بحفظ قرآنه ، ومن ثم حفْظ معانيه ودلالة ألفاظه ، فإن دلالة ألفاظه محفوظة من التبديل والتغيير بحفظ النص القرآني ذاته ، وهذه سمة من سمات الألفاظ القرآنية وخصوصياتها .

ويقودنا هذا إلى الكلام عن ظاهرة بِلَى الألفاظ وانقراضها بوصفها نوعاً من التطور ، ونعني بانقراض اللفظ هَجْر استعماله من قِبَل الجماعة اللغوية ، ولن يجد المرء أية صعوبة في ملاحظة هـذه الظاهرة بمجرد الاطلاع على المعجم الشعري لأحد شعراء الجاهلية ، فإنه سيجد كلمـات كثيرة قد هُجِر استعمالهـا تماماً ، أو قُلْ : انقرضت على مستوى الاستعمال بكافة أنواعه ، ومع ذلك فهي محتفظة بمكانها في المعاجم اللغوية ، ولا سيما المعاجم القديمة (٣) .

---

[1] جاء في لسان العرب (يوم) : " وقوله تعـالى : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾ ، المعنى ذكرهم بنعم الله التي أنعم بها عليهم ، وبنقم الله التي انتقم فيهـا من قوم نوح وعاد وثمـود " ، ويراجع القاموس (يوم) ، وزاد المسير (٤ / ٣٤٦) .

[2] (إبراهيم / ٥) .

[3] يراجع دور الكلمة في اللغـة : ستيفن أولمان ، ترجمة كمال بشـر ، ط ١٢ ، دار غريب للطباعـة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، (ص / ٢١٩) ، وعلم اللغة : علي عبد الواحد وافي ، ط٩ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (ص / ٣٢٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما بالنسبة لألفاظ القرآن الكريم فإنها – وإن وقع التطور على كثير منها – فإنه لا يلحقهـا هذا الانقراض البتة ، حتى مع عـدم استعمال هذا اللفظ أو ذاك ردحـاً من الزمن ، أو إهماله في بيئة من البيئات ؛ ذلك بأن ألفـاظ القرآن حية بحـياته ، تتلى بتلاوته ، محفوظة من الزوال بحفظـه ، وهذه أيضاً سمة من سمات الألفاظ القرآنية وخصوصية من خصوصياتها .

٥. لـيس من التطور المقصود ما جاء معناه على سبيل المجاز ، مع الاعتراف الـتام بأن كثيراً من الألفاظ التي تطورت دلالاتها كان للمجاز دور بارز في تطورها [١] . بيد أن هناك فرقاً بين أن تكون الكلمة قد استُعملت استعمالاً مجازياً ، وأن تكون دلالتهـا قد تطورت بسبب المجـاز ؛ لأن فكرة تطور دلالة الكلمة بسبب المجـاز مرتبطة بكثرة الاستعمال ، فإن استعمال الكلمة بالمعنى الجديد يكون في بادئ الأمر على سبيل المجاز ، ثم يكثر استعمالها بمعناهـا الجديد ، حتى يشيع بين الجماعة اللغويـة ، ويزول عنها المدلول الأول ، ويصبح المدلول الثاني حقيقة لا مجازاً ، أو يستعملان معاً جنباً إلى جنب ، فيكونان من المشترك اللفظي . قال استيفن أولمان في هذا المعنى : " اللغة قاموس من المجازات التي فقدت مجازيتها بالتدريج " [٢] .

إن كلمة : " النار " مثلاً في قوله تعـالى : ﴿ إِنَّمَـا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ [٣] ، لا تُعَدّ مما تطور دلالته ، بزعم أن معناها في الآية : الحرام ، بل يقـال إنها استعملت استعمالاً مجازياً ، فأُطلِق اللفظ وأريد به مسبِّبه . ومثل ذلك فـيما جاء من استعارات بالقرآن ، في نحو قوله : ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

---

[1] يـراجع علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، ط ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، (ص / ٢٤١) .

[2] دور الكلمة في اللغة (ص / ٩٣) .

[3] (النساء / ١٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِلَى النُّورِ ﴾ (١) ، فإنه أراد الكفـر والإسلام ، وهو من باب إطلاق اللفظ والمراد مُشابِهُهُ ، وليس من باب التطـور ؛ لأن هذه الكلمات لم يكثر استعمالها بهذه المعاني المجازية كثرةً تجعلها – إلى جانب معانيها الأولى – حقيقية .

أما كلمة مثل " الأُمّ " التي بمعنى الوالدة فليست كذلك ، على الرغم من أن الأصـل في معناهـا هو أصل الشيء وأساسه (٢) ، ولكنها لمـا استُعيرت للوالدة – أو قل استُعملت مجازاً للوالدة – ثم كثُر استعمالهـا كثرة غالبـة بهذا المعنى الجديد صارت علماً عليه ، فهذا من التطور الذي نحن بصدده .

وبعـد ، فإنه يمكن تصنيف الألفاظ القرآنية التي أصاب دلالاتها التطور – بالمفهوم الذي سقناه سلفاً – إلى أنواع ثلاثة ، هي :

١. ألفاظ اكتسبت دلالات جديدة لم تكن موجودة في العربية ، مع بقـاء المعنى القرآني قائماً بطبيعة الحال . وهذه الظاهرة تعد من باب توسيع الدلالة .
٢. ألفـاظ اقتصرت دلالاتها على معنى واحد أو معانٍ أقل مما كانت عليه في اللغة وقت نزول القرآن . وهذه الظاهرة تعد من باب تضييق الدلالة .
٣. ألفاظ لم تعد مستعملة الآن لا في العامية ولا في الفصحى المعاصرة ، اللهم إلا في بعض المحافل الدينية والعلمية المتخصصة .

هذه هي مظاهر التطور الدلالي لألفاظ القرآن الكريم ، وهو ما سنثبته بالأمثلة القرآنية . وعلى الرغم من أن بعض علمـاء العربية حددوا هذه المظـاهر في

---

[1] (إبراهيم / ١) .

[2] قـال ابن فارس : " وأما الهمزة والميم فأصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب ، هي : الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدين . وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصول ثلاثـة ، وهـي : القامة ، والحين ، والقصد " ، ثم جعل (الأم) التي بمعنى الوالدة مما تطور عن معنى (الأصل) . مقاييس اللغة : ابن فارس ، عيسى البابي الحلبي القاهرة ، ١٩٧٩م ، (١ / ٢١) وما بعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألفاظ اللغة بوجه عام بـــ :

١. تخصيص الدلالة . ٢. تعميم الدلالة . ٣. انتقال الدلالة [١] .

وزاد بعضهم على ذلك :

١. رقي الدلالة . ٢. انحطاط الدلالة . ٣. التغيّر إلى التضاد [٢] .

إلا أنني أرى أن كل ما زاد على تعميم الدلالة وتخصيصها إنما مرده في النهاية إليهما ، لا سيما في الألفاظ القرآنية ؛ لأن ماعداهما يفضي بالمعنى الأول (قبل التطور) إما إلى الزوال وهذا غير وارد في الألفـــاظ القرآنية ، وإما إلى بقاء المعنى الأول مع المعنى الجديد ، فيكون من باب تعميم الدلالة. أما النوع الثالث من الألفـــاظ القرآنية الذي أضفناه مجدداً وهو مـــا اقتصر استعماله على مجال محدود فهو واقع لغوي لا يمكن إنكاره ، وقد أوفيت فيه الكلام من قبل .

وسأتناول – إن شاء الله – كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل منطلقاً – في كل قسم – من أسباب هـــذا التطور ، أي الأسباب التي أدت بهذا اللفظ أو ذاك إلى تعميم دلالته أو تخصيصها أو شبه هجرها .

قد تكون أسباب التطور متداخلة ، فقـــد يجتمع أكثر من سبب على لفظ واحد يؤدي به إلى التطور ، وعليه فإن تحديد السبب في تطور لفظ ما لن يكون أمراً قاطعاً بين اللغويين ، بل هو أمر فيه من الاجتهاد القدر الكبير .

---

[1] يراجع : مقدمـــة لدراسة التراث المعجمي العربي ، حلمي خليـــل ، دار المعرفـــة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣م ، (ص / ٨٦ : ٨٨) . ويقصدون بنقـــل الدلالة انتقالها عن طريق الاستعارة إن كان ثم وجه للمشابهة بين المعنيين الأول والجديد ، أو المجاز المرسل مع عدم المشابهة .

[2] يراجع : علم اللغة مقدمـــة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، (ص / ٣١١) . ويراجع : دراسة المعنى عنـــد الأصوليين : طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعيـــة للطباعـــة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، (ص / ١٨٨ : ١٩٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً : الألفاظ التي اتسعت دلالاتها

١. ما اتسعت دلالته من الألفاظ القرآنية بسبب انتقال الدلالة (المجاز) :

وقد وقع ذلك في القرآن كثيراً ، فيُطلق اللفظ على الشيء ثم يطلق على غيره لما بينهما من علاقة ما ، ولانتقال الدلالة صور متعددة ، منها :

- انتقال الدلالة لوجه شبه بين المسميين ، مثل كلمة : " الخرطوم " ، في قوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [١] ، وقد جاء في التفسير أنه الأنف [٢] ، وهو في اللغـــة : " الأنف وقيل : مقدمه ، ومن الخنزير : الفنطيسة ، ومن ذي الجناح : المنقار ، ومن ذوات الخف : المشفر ، والخرطوم للفيل هو أنفه يقوم مقام اليد ، وللبعوضة خرطوم وهو شبيه بالفيل ، وخراطيم القـــوم : ساداتهم ، والخراطم من النساء : التي دخلت في السن " [٣] .

ثم إنه يطلق اليوم في العامية والفصحى المعاصرة على مـــا أشبه خرطوم الفيل في المرونة والامتداد ، حتى أطلق على كل أنبوب لين فيه استطالة .

ومن ذلك أيضاً الفعل " سرّح " ومصدره " تسريح " ، وقـــد ورد في أربعة مواضع بالتنزيل [٤] ، وجاء التفسير بأنه من ألفاظ الطلاق ، " ألا ترى أنه قد قُرئ : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا السَّرَاحَ ﴾ " [٥] . وهكذا هو في اللغة ، فإن معاني مـــادة

---

[1] (القلم / ١٦) .

[2] يراجـــع الكشاف (٤ / ١٤٣) ، وزاد المسير (٨ / ٣٣٤) ، وتفسير القرطبـــي (٨ / ٢٣٧) .

[3] يراجـــع اللسان والقاموس والتاج (خرطم) ، وأساس البلاغة (خرط) ، ويراجع كذلك الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى : المنسوب لأبي عبيد ، تحقيق عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة ، القاهرة ، (ص / ٦٨) .

[4] (البقرة / ٢٢٩ ، ٢٣١ . الأحزاب / ٢٨ ، ٤٩) .

[5] تفسير القرطبي (٣ / ١٢٧ ، ١٥٦ ، ١٤ / ١٧٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(سرح) كلها تدور حول " أصل مطرد واحد وهو يدل على الانطلاق " (١) ، ومن معانيها " المال السائم ، سرحت الماشية تسرح سرحاً وسروحاً : سامت ، وسرّح عنه : فرّج ، وإذا ضاق شيء ففرّجت عنه قلت : سرّحت عنه تسريحاً والسُرُح : السهل ، وإذا سهُلت ولادة المرأة قيل : ولدت سُرُحاً . والتسريح : إرسالك رسولاً في حاجة . وتسريح المرأة : طلاقها . وتسريح الشعر : إرساله قبل المَشْط وترجيله وتخليص بعضه من بعض ... " (٢) .

ثم إنه يطلق اليوم في العامية والفصحى المعاصرة على إخلاء العامل من عمله ؛ للشبه الواضح بين فك الزوجة من عقدة النكاح وحل الشيء بعد عقده من جهة وبين فك العامل من مهام عمله وإعفائه منه من جهة أخرى ، فضلاً عما فيه من معنى الانطلاق الذي أشار إليه ابن فارس . ومن ثم جاء في المعجم الوسيط أن هذا المعنى من المعاني المحدثة لهذا اللفظ (٣) .

ومنه أيضاً كلمة " القرن " ، فقد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة كلها بمعنى الجماعة من الناس من أهل الزمان الواحد ، أو الأمة بعد الأمة ، إلا في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾(٤) ، فقد اختلف المفسرون في معنى القرنين ، ومما قالوه : " إنه كان ذا ضفيرتين من شعر ، فسمي بهما والضفائر قرون الرأس ، كما قال الشاعر :

فَلَثَمْتُ فاها آخِذاً بِقُرونِها ... شُرْبَ النَّزيفِ بِبَرْدِ ماءِ الْحَشْرَجِ " (٥)

والقرن في اللغة : " **الرَّوْقُ (مادة صلبة ناتئة بجوار الأذن في رءوس البقر**

---

[1] مقاييس اللغة (٣ / ١٥٧) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج (سرح) .

[3] المعجم الوسيط (سرح) .

[4] (الكهف / ٨٣) .

[5] تفسير القرطبي (١١ / ٤٧) ، **ويراجع الكشاف (٢ / ٤٩٧)** ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والغنم ونحوهما) ، وموضعه من رأس الإنسان قرن أيضاً ، والذؤابة ، وقرن الشمس أولها عند الطلوع ، وقرن القـوم : سيدهم ، والقرن الأمة بعد الأمة ، ومائة عـام ، ومن الناس : أهل زمان واحـد ، ومن الأكمة والجبل : رأسهما وأعلاهما " (١) . وقد جعل ابن فارس القاف والراء والنون أصلين صحيحين ، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء ، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة " (٢) .

ويطلق القـرن اليوم في العاميـة والفصحى المعاصرة على الغلاف الذي يشتمل على حبوب الباقلّى واللوبياء ونحوهمـا ، ووجه الشبه واضح بين هذا الغلاف وقرن الثور مثلاً من حيث الشكل الخارجي في نتوئه وبروزه ؛ ولذلك فقد أشار المعجم الوسيط إلى كون هذا المعنى مولداً (٣) .

- انتقال الدلالة من المعنى المادي إلى معنى معنوي ، ومثاله كلمة " الحظّ " . ووردت في التنزيل سبع مرات ، وتفسيرهـا فيهـا جميعاً يدور حول النصيب والجزء المادي المقتطع حقاً لشخص ما ، كحق الولد في ميراث والـده في مثل قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ (٤) ، وقوله تعـالى : ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (٥) ، أي جزءاً وبعضاً مما ذُكّروا به ، وقد فُسّر قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٦) بالنصيب الوافر في الدنيا ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٧) : إن المراد بذي الحظّ هو من وجبت له

---

1 يراجع اللسان والقاموس والتاج (قرن) .
2 مقاييس اللغة (٥ / ٧٦) .
3 المعجم الوسيط (قرن) .
4 (النساء / ١١) .
5 (المائدة / ١٣) .
6 (القصص / ٧٩) ، ويراجع تفسير القرطبي (١٣ / ٣١٧) .
7 (فصلت / ٣٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنة [1] ، والجنة شيء مادي . وفي اللغـــة : " النصيب والجدّ ، وهو خاص بالنصيب من الخير والفضل ، قال ابن الأثير : الحظ الجد والبخت [2] ، رجل حظيظ وحظيّ ومحظوظ كله : ذو حظ من الرزق " [3] .

والحظ يطلق اليوم – في العامية خاصة – ويراد به ما قُدّر للمرء من خير أو شر مما لا دخل له فيه ، أو ما جاء مصادفة وخبط عشواء ، فيقـــال مثلاً : أصاب فلان في إجـــابة السؤال بالحظ ، إذا جـــاء بالصواب عن غير قصد ولا إعمال فِكرٍ ، ومنه ما تطالعنا به الصحف تحت عنوان " حظك اليوم " ، وعليه فإن دلالة هذه الكلمة قد تطورت من معنى مادي إلى آخر معنوي .

ومثلها كلمة : " النصيب " ، وقد وردت بالقرآن الكريم إحدى وعشرين مرة بمعنى الجزء المادي المقتطع لفرد أو جماعة ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ ... ﴾ [4] ، قال ابن القيم : " النصيب الحظ من الشيء وهو مجمل في هذه الآية ومقداره معلوم في موضع آخر " [5] . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [6] ، قال الفـــراء : " ينالهم ما قضى الله عليهم من الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الأعين ، ويقال هو ما ينالهم في الدنيا من العذاب دون عذاب الآخرة " [7] . وفي قوله تعالى :

---

[1] يراجع البحر المحيط : أبو حيان ، دار إحياء التراث العربي ، (٧ / ١٣٤) .

[2] البخت : فارسي معرّب وقـــد تكلمت به العرب ، وهو الجـــد . المعرب من الكلام الأعجمي : الجواليقي ، ط٣ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، (ص / ٥٧) .

[3] يراجع اللسان والقاموس وأساس البلاغة (حظظ) ومقاييس اللغة (حظ) .

[4] (النساء / ٧) .

[5] زاد المسير (٢ /١٩) .

[6] (الأعراف / ٣٧) .

[7] معاني القـــرآن : يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق محمد على النجـــار وأحمد يوسف نجاتي ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م ، (١ /٣٧٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً ﴾[1] ، نقل أبو حيان عن ابن عباس ومجاهد والسدي أن العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وأثمارها وأنعامها جزءاً تسميه لله وجزءاً تسميه لأصنامها "[2].

إلا أنها تستعمل اليوم – في العامية خاصة – استعمال كلمة " الحظ " ، ومن ثم يقال فيها ما قيل في أختها ، وإنْ فَرَّقَ العسكري بينهما فقال : " النصيب يكون في المحبوب والمكروه ، يقال وفاه الله نصيبه من النعيم ومن العذاب ، ولا يقال حظه من العذاب إلا على استعارة بعيدة "[3].

ومن هذا النوع أيضاً الفعل " سَرَحَ يَسْرَحُ " ، فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[4] ، وقد جاء في التفسير : " سَرَحْتُ الإبل أسرَحُها سَرْحاً وسُرُوحاً إذا غدوت بها إلى المرعى ، وسَرَحَتْ هي ، والمراد : تُخرِجون الأنعام بالغداة إلى المسارح "[5].

وقد سبقت الإشارة إلى أصل (سرح) في اللغة . إلا أنه يستعمل اليوم في العامية ويراد به شرود الذهن ، أو غياب العقل عما يجب التنبه إليه ، فيقال : سرح الطالب أثناء الشرح ففاته الدرس ، أي شرد ذهنه وتشتت عقله ، ومنه كذلك : سرح في صلاته ، أي سها فيها . ومن ثم فقد تطور السرح المادي للماشية ونحوها إلى سرح معنوي للذهن والعقل والخيال .

---

[1] (الأنعام / ١٣٦) .

[2] البحر المحيط (٤ / ٢٢٧) ، وتفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : ابن كثير ، المكتبة التوفيقية القاهرة ، (٢ / ١٧٨) .

[3] الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ص / ١٣٥) .

[4] (النحل / ٦) .

[5] تفسير القرطبي (١٠ / ٧١) ، ويراجع : مجاز القرآن (١ / ٣٥٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذا الباب الفعل : " باشر يباشر " في قوله تعالى : ﴿ فالآنَ باشرُوهُنَّ ... ولا تُباشرُوهُنَّ و أَنتُمْ عاكفُون في المَساجد ﴾ [1] . وقد جاء التفسير بأن المباشرة كناية عن الجماع ، وسُمّي الوقاع مباشرة لتلاصق البشرتين فيه [2] .

وفي اللغة : " البَشَرَة : أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان ، وباشر الرجل امرأته : كان معها في ثوب واحد فوليت بشرته بشرتها ، ومن معانيها الجماع . وباشر الأمر وليه بنفسه ، وهو مثل بذلك ؛ لأنه لا بشرة للأمر إذ ليس بعين " [3] . وفي هذا إشارة إلى أن استعمال عبارة " باشر الأمر " من باب المجاز الذي انتقلت فيه الدلالة المادية إلى دلالة معنوية .

وهذا المعنى الأخير مستعمل في العامية والفصحى المعاصرة ، بيد أنه تطور بدوره إلى معنى جديد أدخل في المعنوية إن صح التعبير ، وهو متابعة الآخرين في عملهم ومراقبتهم ، فيقال : باشرت فلاناً وهو يعمل كذا وكذا ، أي تابعته دون القيام بالعمل نفسه . فتكون دلالة الفعل قد لحقها تطور بعد تطور ، وليس هذا بالبدع في اللغة ، فكثيراً ما يحدث أن تتعاقب على الكلمة الواحدة مجموعة من التطورات التي تبعدها على مر الزمان عن أصلها الأول [4] .

- انتقال الدلالة لعلاقة السببية (أي من السبب إلى النتيجة) ، ومثاله الفعل : " فَشِلَ " ، وقد ورد بالقرآن أربع مرات [5] ، وفي اللغة : " الفَشِلُ : الرجل الضعيف الجبان ، وفَشَلَ الرجل : كسل وضعف وتراخى وجبن . وتفشَّل الماء

---

[1] (البقرة / ١٨٧) .

[2] تفسير القرطبي (٢ / ٣١٨) ، وزاد المسير (١ / ١٩٢) .

[3] اللسان (بشر) ، ويراجع والقاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[4] يراجع التطور اللغوي : رمضان عبد التواب ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، (ص / ١٧١) وما بعدها .

[5] (آل عمران / ١٢٢ ، ١٥٢ . الأنفال / ٤٣ ، ٤٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سال ... " [1] . وجاء التفسير أنه بمعنى جَبُنَ وضَعُفَ [2] .

واليوم يُقصد بهذا الفعل الإخفاق في العمل الذي هو نقيض التوفيق ، ويبدو أن سبب هذا التطور هو أن الضعف والجبن والخور سبب في الإخفاق ، وقد أقر المجمع اللغوي المصري هذا المعنى الجديد لانتشاره [3] .

ومن ذلك أيضاً كلمتا " الخصام والتخاصُم " ، في قوله تعالى : ﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [4] جاء التفسير : الخصام مصدر خاصم . قاله الخليل ، وقيل : جمع خَصْم ، ككلب وكلاب ، وألد الخصام : شديد الجدال والكاذب المبطل ، وذو الجدال [5] . وفي قوله : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [6] ، فُسِّر بالمجادلة والإدلاء بالحجة ، وفي مصحف عبد الله : ﴿ وَهُوَ فِي الْكَلَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [7] . وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [8] ، قال الزمخشري : " لِمَ سُمِّيَ ذلك تخاصماً ؟ قلت : شبّه ما

---

[1] يراجع اللسان والقاموس والتاج وأساس البلاغة (فشل) .

[2] يراجع تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م (ص / ١٠٩) ، والكشاف (١ / ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٢ / ١٦١) ، وزاد المسير (١ / ٤٤٩ ، ٤٧٦ ، ٣ / ٣٦٣) ، والبحر المحيط (٣ / ٤٦ ٤ / ٥٠١) ، وتفسير القرطبي (٤ / ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٨ / ٢٢ ، ٢٦) .

[3] المعجم الوسيط (فشل) .

[4] (البقرة / ٢٠٤) .

[5] يراجع الكشاف (١ / ٣٥٢) ، وزاد المسير (١ / ٢٢١) ، والبحر المحيط (٢/ ١١٤) ، وتفسير القرطبي (٣ / ١٦) .

[6] (الزخرف / ١٨) .

[7] يراجع معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٩)، والكشاف (٣ / ٤٨٢)، والبحر المحيط (٨ / ٨) ، وتفسير القرطبي (١٦ / ٧٢) .

[8] (سورة ص / ٦٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين " [1] .

وكذا هو في اللغة : " الجدل ، خاصمه خصاماً ومخاصمة فخصمه يخصمه خَصْماً : غلبه بالحجة ، ورجل خصم : جدلٌ على النسب ، وأخْصَمْتُ فلاناً إذا لقّنته حجته على خصمه ، وخاصمه جادله ونازعه " [2] . ولذا فإن ابن فارس قد جعل الخاء والصاد والميم أصلين ، أحدهما المنازعة والمجادلة [3] .

أما الآن فيطلق الخصام والتخاصم في العامية ويراد بهما الشقاق والقطيعة فيقال : خاصمت فلاناً ، وبيننا خصـــام ، أي شقاق وقطيعة وهجر . ويبدو أن هذا المعنى قد استقر في العامية لمـــا بينه وبين الجدال من وشائج ؛ فالجـــدال والمقارعة بالحجة سبب في الشقاق والقطيعة .

ومن ذلك أيضاً كلمة " المنام " ، ووردت أربع مرات بالقرآن الكريم [4] ، وقد أجمع المفسرون في أربعـــة المواضع على أنها بمعنى النوم [5] . وهكذا هي في اللغة [6] ، والمنـــام مصدر ميمي من النوم . أما الآن فإن هذه الكلمة تطلق في العامية على ما يراه النـــائم من رؤيا ، حتى إنه ليقال : فلان فسّر لي المنام ، أي الرؤيا ، ويصفونها فيقولون : هذا منام جميل ، يريدون رؤيا طيبة ؛ وسبب هذا التطور – فيما نرى – أن النوم سبب للرؤيا ، وهي نتيجة له .

---

[1] الكشاف (٣ /٣٨١) ، ويراجع البحر المحيط (٧ / ٤٠٧) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (خصم) .

[3] مقاييس اللغة (٢ / ١٨٧) .

[4] (الأنفال / ٤٣) ، (الصافات / ١٠٢) ، (الروم / ٢٣) ، (الزمر / ٤٢) .

[5] يراجع على سبيل المثال : الكشاف (٢ / ١٦١ ، ٣ / ٣٤٧)، وزاد المسير (٣ / ٣٦٣ ، ٧ / ٧٢) ، والبحر المحيط (٤ / ٥٠١) ، وتفسير القرطبي (٨ / ٢٢ ، ١٥ / ٩٩) .

[6] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (نوم) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثلها أيضاً كلمة " الأسف " ومشتقاتها ، فقد وردت في مواضع خمسة من القرآن [1] ، ومدار تفسيرهـا في المواضع كلها حول معنى : " شدة الحزن ، والجزع ، والغضب (أو الغضب الشديد) ، والندم " [2] . والأسف في اللغة : " المبالغة في الحزن والغضب ، وأسِف على ما فاته وتأسَّف أي تلهَّف ، وآسفه أغضبه ، والأسيف والآسف : الغضبان . والأسيف : الأجير وأيضاً البلد الذي لا ينبت شيئاً . والأسيف : الرقيق القلب . والأسيف : الشيخ الفاني " [3] .

والأسف والتأسف في الاستعمال العامي والفصيح المعاصر اليـوم مرادف للاعتذار ، فيقال : " تأسّف فلان لصديقه على ما بدر منه " ، أي اعتذر وطلب العفو ، وعبارة : أنا آسف – الآن – لا تعني أكثر من طلب قبول العـذر عن خطأ ما ، وقد فُرِّغَت من معنى الندم أو الغضب أو الحزن . وواضح أن سبب هذا التطور هو أن الندم يترتب عليه غالباً اعتذار لصاحب الحق .

ومنه كذلك كلمة : " الغُرور " بالضم ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [4] ، جاء التفسير : " أي تغرّ المؤمن وتخدعه فيظن طول البقـاء وهي فانتة " [5] . وكذلك في قولـه : ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ

---

[1] (الأعراف / ١٥٠) ، (يوسف / ٨٤) ، (الكهـف / ٦) ، (طـه / ٨٦) ، (الزخرف / ٥٥) .

[2] يراجـع مجـاز القـرآن (١ / ٣١٦) ، والكشاف (٢ / ١١٨ ، ٤٧٣) ، وزاد المسير (٣ / ٢٦٣ ، ٥ / ١٠٥) ، والبحر المحيط (٤ / ٣٩٤ ، ٦ / ٩٨) .

[3] يراجع اللسان والقاموس والتاج وأساس البلاغة (أسف) ، وكذا الأجنـاس (ص / ٩٧) ، ومجالس ثعلب : أحمـد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨٠م ، (١ / ٣٨) ، والفروق اللغوية (ص / ١٩٥) .

[4] (آل عمران / ١٨٥) ، (الحديد / ٢٠) .

[5] تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٢) ، ويراجع الكشاف (١/ ٤٨٦) ، وزاد المسير (١ / ٥١٨) ، والبحر المحيط (٣ / ١٣٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غُرُوراً ﴾ [1] ، قال أبو حيّان : " معناه هنا الخدع التي تُظنُّ أنها نافعة ويكشف الغيب أنها ضارة " [2] . ومدار معنى الكلمة في سائر المواضع حول الخداع والباطل من القول [3] .

أما في اللغة ، فإنه يقال : " غَرّه يَغُرُّه غَرًّا وغُروراً وغِرّة فهو مغرور وغَرير : خدعه وأطمعه بالباطل ، واغترّ هو : قَبِلَ الغُرور ، والغُرور بالضم الأباطيل ، والغُرور الدنيا (صفة غالبة) ، والغُرور جمع غار ، وغَرَّ الرجل غرارة وغِرّة : جهل الأمور وغفل عنها ، فهو غِرٌّ " [4] .

أما الآن فإن هذا اللفظ يطلق في العامية وفصحى العصر مرادفاً للاستعلاء والتكبر والتعالي على الآخرين ، يقال: فلان مغرور أي متكبر ؛ لأن الاستعلاء يكون ناجماً عن انخداع المرء بنفسه ، وتزيين الشيطان بأنه الأعلى والأكبر .

- انتقال الدلالة لعلاقة المسببية (أي من النتيجة إلى السبب) ، ومثاله الفعل : " سلّط " ، وقد ورد في موضعين اثنين : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ [6] ، وقد جاء التسليط في الآيتين بمعنى التقوية والتجرؤ [7] ، قال القرطبي : " تسليط الله تعالى المشركين على المسلمين هو بأن يُقْدِرهم على ذلك ويقويهم ، إما عقوبة

---

[1] (النساء / ١٢٠) ، (الإسراء / ٦٤) .

[2] البحر المحيط (٣ / ٣٥٤) ، ويراجع زاد المسير (٢ / ٢٠٨) .

[3] يراجع معاني القرآن (٢ / ٣٣٦)، والكشاف (٢ / ٤٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٢) ، وزاد المسير (٣ / ١٠٩ ، ١٨٠ ، ٦ / ٣٥٩ ، ٨ / ٣٢٣) ، وتفسير القرطبي (٧ / ٦٧ ، ١٨٠ ، ١٤ / ١٤٧ ، ٣٥٦ ، ١٨ / ٢١٩) .

[4] يراجع اللسان والقاموس والتاج والوسيط (غرر) ومجالس ثعلب (١ / ١٥٠) .

[5] (النساء / ٩٠) .

[6] (الحشر / ٦) .

[7] الكشاف (١ / ٥٥٢) ، والبحر المحيط (٣ / ٣١٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونقمة عند إذاعة المنكر ... وإما ابتلاء ... وإما تمحيصاً للذنوب " [1] .

وقد وافق هذا التفسيرُ اللغةَ ؛ فأصل التسليط : القهر ، وقد سلّطه الله فتسلط عليهم ، وسلّطه : أطلق له السلطان والقدرة ، وعليه : مكّنه منه وحكّمه فيه ، والسَّلِط والسليط : طويل اللسان ، والسليط : الشديد [2] .

واليوم يُستعمل " التسليط " في العامية بمعنى التحريض بالشر والتأليب على الآخرين والوشاية بهم ؛ من حيث كانت هذه المعاني الجديدة هي سبب ووسيلة لتسلط الناس وتقويتهم على الموشَى بهم ، بغرض قهرهم والإيقاع بهم .

ومن ذلك أيضاً كلمة " الفتنة " ، التي وردت أربعاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم ، جاء تفسيرها في بعض المواضع : الكفر والشرك أو الردة عن الإسلام أو قتال المسلمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [4] ، وقوله عزّ من قائل : ﴿ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ [5] . وجاء في بعضها بمعنى : الجواب والكلام والمعذرة كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ... ﴾ [6] . ثم وردت في سائر المواضع تحمل معنى البلاء والاختبار والامتحان ، سواء أكان ذلك بالشدة

---

[1] تفسير القرطبي (٥ / ٣١٠) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (سلط) ، ومقاييس اللغة (٣ / ٩٥) ، فقد جعل ابن فارس السين واللام والطاء أصلاً واحداً وهو القوة والقهر .

[3] (البقرة / ١٩١) .

[4] (البقرة / ٢١٧) .

[5] (النساء / ٩١) ، ويراجع تفسير هذه الآيات الثلاث بمعاني القرآن للفراء (١ / ١٤١) ، ومجاز القرآن (١ / ٦٨) ، والكشاف (١ / ٣٤٢ ، ٣٥٧) ، وزاد المسير (١ / ١٩٨) ، وتفسير القرطبي (٢ / ٣٥٠ ، ٣ / ٤٦ ، ٥ / ٣١١) .

[6] (الأنعام / ٢٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أم بالرخاء[1] . وهكذا جاءت اللغـــة ؛ فجماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب ، إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيـــد . والفتّان الشيطان الذي يفتن الناس بخداعه وغروره وتزيينه المعاصي . والفتان أيضـــاً : اللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم . وفتنه عن الشيء : لواه وصرفه وأماله عنه . والفتنة : الإضلال ، وما يقع بين الناس من قتال ، والاختبار والإثم والكفر والفضيحة [2] .

أما اليوم فكلمة " الفتنة " – في العامية – يراد بها الوشاية بالناس وإذاعـــة أسرارهم ، حتى يقول قائلهم : لا تُبلِّغ فلاناً بسرّك فإنه فتّان ، وقـــد فَتَنَ عليَّ . ويُعَدُّون الفعل بحرف الجر (على) ، كأنهم ضمنوا الفتنة معنى : ألَّب عليَّ أو نمَّ عليَّ أو نحوهما ؛ وذلك لأن الوشاية وإذاعة الأسرار وسيلة الابتلاء بالمعاصي أو وسيلة للإضلال أو وسيلة للصرف والإعراض والإمالة عن الحق .

- انتقال الدلالة مراعاة لأصل المسمى ، ومثالـــه كلمة : " القرطاس " ، وقد وردت مفردة في قول الله تعـــالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ... ﴾ [3] ، ومجموعة في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَـــاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ [4] ، وتفسيرها فيهما :

---

[1] تراجع – على سبيل المثال – الآيات : (البقـــرة / ١٠٢) ، (المائـــدة / ٧١) ، (الأعراف / ١٥٥) ، (الأنفال / ٧٣) ، (الأنبياء / ٣٥) ، وكذا يراجع تفســـير هذه الآيات بالكشاف (١ / ٣٠١ ، ٦٣٤ ، ٢ / ١٢١ ، ٥٧٢) ، وزاد المسير في علم التفسير (١ / ١٢٥ ، ٢ / ٤٠١ ، ٣ / ٢٦٩) ، وتفسير القرطبي (٦ / ٢٧٤ ، ٧ / ٢٩٥ ، ٨ / ٥٨ ، ١١ / ٢٨٧) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والوسيط (فتن) ، ومقاييس اللغة (٤ / ٤٧٢) .

[3] (الأنعام / ٧) .

[4] (الأنعام / ٩١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الورقــة والصحيفة والبطاقة [1]. وفي اللغة : " القرطاس : ضرب من برود مصر ، والذي يُصنع للتصاوير ، والصحيفة يُكتب فيها ، والجمل الأدم ، والجارية البيضاء المديدة القامة ، وهي مثلثة إذا كانت بمعنى الصحيفة " [2].

أمــا الآن فإن كلمة " القرطاس " بضم القــاف تطلق على الورقة التي تُلف على هيئــة القمع ليوضع بها الحبّ وخلافه ، وأورد المعجم الوسيط هذا المعنى لانتشاره ، وجعله محدثاً . والسبب في هذا التطور الدلالي هو تسمية الشيء بما كان عليــه ، فإن هذه الورقة الملفوفة على هيئة القِمَع كانت في الأصل صحيفة وورقة وبطاقــة ، وقد كانت القراطيس – بمعناها الفصيح – تجمع في دكاكين الورّاقين ، ثم تُوَزّع بعد ذلك على الباعة لاستخدامها قراطيس بالمعنى الجديد .

▪ انتقال الدلالة لضرب من المبالغة ، ومثاله الفعل " زهق " ، والوصف منــه " زاهق " وذلك في مواضع خمسة بالقرآن الكريم ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [3] ، جاء التفسير بأنه كناية عن الموت [4] . وقوله : ﴿ ... وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [5] ، وقولــه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [6] ، جــاء التفسير بأنه الاضمحلال والتلف والهلاك

---

[1] يراجع معاني القرآن للفــراء (١ / ٣٤٣) ، والكشاف (٢ / ٦) ، وزاد المسير (٣ / ٧) ، والبحر المحيط (٤ / ١٧٨) ، وتفسير القرطبي (٦ / ٣٩٣) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتــاج ، وفي المعرّب من كلام العرب : " يقال إن أصل القرطاس غير عربي " (ص / ٢٧٦) .

[3] (التوبة / ٥٥ ، ٨٥) .

[4] يراجع معاني القرآن للفراء (١ / ٤٤٢) ، وزاد المسير (٣ / ٤٥٣) ، والبحر المحيط (٥ / ٥٤) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٣) .

[5] (الإسراء / ٨١) .

[6] (الأنبياء / ١٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والزوال وعدم الثبوت والبُطلان [1] . وفي اللغـــة : زَهَق الشيء : بطل وهلك واضمحل ، وزَهَقَتْ نفسُه وزَهِقَتْ : خرجت ، والأصل في الزهوق : الخروج بصعوبة . وزهق فلان بين أيدينا: سبق وتقدّم أمام الخيل . وزهق مخّه : اكتنز والزاهق من الدواب : السمين المُمخُّ ، والشديد الهزال ضـــد . وبئـــر زهوق : بعيدة القعر . والزَّهْق والزَّهَق : الوهدة ، والمطمئن من الأرض [2] .

أما الآن فإن هذا الفعل يُطلق ويراد به الملل وضيق النفْس ، يقـــال : زهق فلان من كثـــرة السفر ؛ وذلك بغـــرض المبالغة في شدة الملل وضيق النفْس ، وكأنه شُبِّه بخروج روحه من جسده بصعوبة وهلاكها .

ومنه أيضاً كلمة : " نَفَرٌ " ، في قوله تعـــالى : ﴿ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ، و﴿ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ ﴾ ، و﴿ وأَعَزُّ نَفَراً ﴾ [3] . وجـــاء في التفسير : النفر من الثلاثة إلى العشرة [4] . وجاء أيضاً أنه سبع ، وتسع ، وقيل : اثنـــا عشر ألفاً [5] . وردّ ابن الجوزي هذا القول الأخير ، وقال : لأن النفر لا يطلق على الكثير .

وقريب من هذا ما جاءت به اللغة ، فالنفر في اللغـــة : ما دون العشرة من الرجال ، ومنهم من خصّص فقال : للرجال دون النساء ، والجمع أنفار ، وقيل الناس كلهم (عن كراع) ، وقيل الثلاثة إلى العشرة [6] .

---

[1] يراجع الكشاف (٢/ ٤٦٣) ، وزاد المسير (٥/ ٧٦ ، ٣٤٤) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٣ ، ٣ / ٥٩ ، ١٧٥) ، والبحر المحيط (٦ / ٧٤) ، وتفسير القرطبي (١٠ / ٣١٥ ، ١١/ ٢٧٧) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتـــاج والمعجم الوسيط (زهق) ، ومجالس ثعلب (١ / ٣٠١) ، ومقاييس اللغة (٣ / ٣٢) .

[3] (الجن / ١) ، (الأحقاف / ٢٩) ، (الكهف / ٣٤) بالترتيب .

[4] الكشاف (٤ / ١٦٧) .

[5] زاد المسير (٧ / ٣٨٩) .

[6] يراجع اللسان والقاموس والتاج (نفر) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الآن فإن النفر يطلق في العامية والفصحى المعاصرة على الفرد الفذ من الرجال ؛ ولذا فقد جعلها الوسيط – بهـذا المعنى – من الألفاظ المحدثة [١] . ويبدو أن سبب هذا التطور إرادة المبالغة في تقليل العدد ، حتى صار واحدا بعد أن كان أقل عدده ثلاثة . ثم انتقلت هذه التسمية إلى المجال العسكري ، وأطلقت على الجندي الذي يمثل أقل وحدة بنائية وأول لبنة في الفصيلة .

- انتقال الدلالة بسبب المجاورة وملابسة الشيء للشيء ومثاله كلمة " الكعب " في قول الله تعـالى : ﴿ وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ [٢] ، وقد عرف المفسرون الكعبين بأنهمـا العظمان في مجمع مفصل الساق ، المحاذيان للعقب ، ونقلـوا في ذلك قول الإمامين مالك والشافعي رحمهما الله ، واستدلوا على صحته من اللغـة والسنة [٣] . وعرف اللغويون الكعب بأنه : ما أشرف فوق رسغه عند قدمه ، وكل مفصل للعظام ، وقيل العظم الناشز فوق قدمـه ، وقيل العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم ، وقيل العظمان الناشزان من جانبي القدم [٤] . وقد جعل ابن فارس الكاف والعين والباء أصلا واحدا " يـدل على نتوء وارتفاع في الشيء " [٥] . وجعل منه كعب الرجل .

أما الآن فإن " الكعب " يطلق في العامية وفصحى العصر ويراد به العقب ، وهو عظم ، مؤخر القدم ، كما جاء بالمعجم الوسيط . ويبدو أن سبب هذا التطور هو مجاورة العقب للكعب ، ومن ثم سمي الشيء باسم مجاوره .

---

[١] المعجم الوسيط (نفر) .

[٢] (المائدة / ٦) .

[٣] تراجع أدلتهم مفصلة في زاد المسير (٢ / ٣٠٣) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٢٨) والبحر المحيط (٣ / ٤٣٨) ، وتفسير القرطبي (٦ / ٩٦) .

[٤] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (كعب) .

[٥] مقاييس اللغة (٥ / ١٨٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثله أيضاً كلمة : " الحِجْر " ، في قوله تعالى عن المحرمات من النساء : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دخلتمْ بهنّ ﴾ [1] .

ولم يُعْنَ المفسرون بتفسير هذه الكلمة ، بل اهتموا بالكلام عن شرطية كون الربيبة في حجر الرجل حتى تحرم عليه ، أو أنها تحرم عليه وإن لم تكن في حجره ، إلا ما جاء عن أبي عبيدة قوله : " حجوركم : بيوتكم " [2] .

أما في اللغة فإنه يقال : " حَجْرُ الإنسان وحِجْرُه بالفتح والكسر : حضْنه ، وحَجْر المرأة وحِجْرها : حِضنها ، وفي حديث عائشة : " هي اليتيمة تكون في حجر وليّها " . ويجوز حِجر الثوب ، وهو طرفه المتقدم ، لأن الإنسان يرى ولده في حجره ، والحِجر : ما بين يديك من ثوبك ، والحِجر : المنع ، والعقل . ويقال : هو في حجر فلان : كنفه " [3] .

أما اليوم فإن هذه الكلمة تستعمل في العامية ويراد بها موضع الفخذين ، فيقال : وضعت المرأة وليدها على حجرها ، ونام الصبي على حجر والده ، وسبب هذا التطور – فيما نرى – مجاورة موضع الفخذين من الحضن ، فضلاً عما في الموضعين كليهما من دلالة على الرعاية والعناية . وقد يكون سبب هذا التطور مجاورة موضع الفخذين من طرف الثوب الذي هو أحد معاني الحجر .

- انتقال الدلالة لاختلاف مجال الاستعمال ، ومثاله كلمة : " فاره " ، في قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ [4] ، وقد اختلف المفسرون في معناها ، فقال ابن قتيبة : أَشِرين ، وقال عكرمة : حاذقين بنحتها ، وقيل : قادرين ، وقيل : متجبرين ، وقيل : بطرين ، وقيل الفراهة : الكَيْس والنشاط ،

---

[1] (النساء / ٢٣) .

[2] مجاز القرآن (١ / ١٢١) ، ويراجع تفسير ابن كثير (١ / ٤٧١) .

[3] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (حجر) .

[4] (الشعراء / ١٤٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل : أصل " فرهين " فرحين ، على الإبدال ، لمن قرأها " فرهين " [1] .

وفي اللغة يدور معنى الفره حول الأشَر والحذق [2] ، يقال : فرُه بالضم فراهةً وفراهيةً وفروهةً : حسُن وجمُل ، وخفّ ونشِط ، وحذِق ومهر ، فهو فاره . وفرِه بالكسر فَرَهاً : بطِر وأشِر فهو فرِه . والفارهة : الجارية المليحة ، والفتية الشديدة الأكل ، وبرذون فاره وحمار فاره : إذا كانا سيورين [3] .

أما الآن فإن كلمة " فاره " في فصحى العصر توصف بها المركبات الكبيرة الفاخرة ، فيقال مثلاً : سيارة فارهة ، يقصدون سيارة كبيرة واسعة فخمة ، ولا يكادون يتجاوزون بها وصف السيارة ، وهم بذلك قد نقلوا الدلالة من ملاحة وجه الجارية ونحوها إلى جمال هيئة السيارة ، كما نقلوا قوة البرذون وفتوة الحمار إلى سرعة السيارة وقوتها وتفوقها على غيرها .

ومثلها كلمة : " الناصية " ، في أربعة مواضع بالقرآن [4] ، وجاء التفسير في المواضع كلها بأن معناها شَعْر مقدم الرأس ، قال ابن الجوزي : " لِمَ خص الناصية ؟ فالجواب أن الناصية هي شعر مقدم الرأس ، فإذا أخذت بها من شخص فقد ملكت سائر بدنه " [5] .

وهي كذلك في اللغة ، فالناصية : قُصاص الشَّعْر في مقدم الرأس ، ناصيَتُه مقدم رأسه ، ونصوْتَه : قبضتَ على ناصيته ، وناصَيْتَه : إذا جاذبتَه فيأخذ كل

---

[1] يراجع مجاز القرآن (٢ /٨٨) ، والكشاف (٣ / ١٢٣) ، وزاد المسير (٦ / ١٣٨) ، وتفسير ابن كثير (٣ / ٣٤٣) ، والبحر المحيط (٧ / ٣٥) ، وتفسير القرطبي (١٣ / ١٢٩) .

[2] يراجع مقاييس اللغة (٤ / ٤٩٦) .

[3] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط وأساس البلاغة (فره) .

[4] (هود / ٥٦) ، (الرحمن / ٤١) ، (العلق / ١٥ ، ١٦) .

[5] زاد المسير (٤/ ١١٨) ، ويراجع البحر المحيط (٥/ ٢٣٤) ، وتفسير القرطبي (٩ / ٥٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحد منكما بناصية صاحبه [١] .

والآن تطلق " الناصية " – في العامية خاصة – مرادفاً لرأس الطريق وأوله عند ملتقاه بغيره ، ولكثرة استعماله بهذا المعنى أجـازه المعجم الوسيط وجعله من المعاني المحدثة . وعليه فقد انتقل المعنى من مقدم الرأس إلى مقدم الطريق ومن كونها جزءاً من الإنسان إلى كونها جزءاً من الطريق .

ومثله أيضاً الفعل : " أقلع " ، في قوله تعالى : ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ [٢] ، والإقلاع في التفسير : الكفّ والإمساك عن إنزال المطر [٣]. وهو في اللغة : " الكف عن الأمر ، يقال أقلع فلان عما كان عليه ، أي كف عنه . وأقلع الشيء انجلى ، وأقلع السحاب كذلك ، وفي التنزيل : ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ ، أي أمسكي عن المطر . والقلع : شراع السفينة ، قال ابن بري : ليس في قوله سفينة مقلعة ما يدل على السير من جهة اللفظ ، إنمـا يُفهم ذلك من فحوى الكلام ؛ لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رُفع قلعُها فإنها سائرة ، وإلا فليس يوجد في اللغـة أنه يقال أقلع الرجل إذا سار " [٤] .

أما اليوم فإن الإقلاع يطلق في فصحى العصر على انطلاق الطائرة خاصة من دون سائر المركبات ، فيقال : أقلعت الطائرة الآن ، وموعد إقلاعها الآن ، والإقلاع في الأصل – بهذا المعنى – مأخوذ من قلع السفينة ، والإقلاع بمعنى الإبحار هو معنى ضمني ، أو هو تفسير باللازم كمـا أشار ابن بري . وعليه فقد انتقلت الدلالة من مجال السفن إلى مجال الطائرات . وجدير بالذكر أن هذا التطـور قد أصاب المعنى غير القرآني للإقلاع ، فالإقلاع إما أن يكون بمعنى

---

[1] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (نصو) .

[2] (هود / ٤٤) .

[3] يراجع الكشاف (٢ /٢٧١) ، وزاد المسير (٥ / ١١١) .

[4] لسان العرب (قلع) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكف ، أو بمعنى ارتفاع قلع السفينة ، وجـــاء القرآن بالمعنى الأول ، وأصاب التطور المعنى الثاني .

ومن هذا الباب أيضاً كلمة " شقي " وصفاً على زنة فعيل ، وقد وردت في أربعة مواضع بالقرآن الكريم [١] ، ومدار معناها في قول المفسرين : الخائب من الخير ، والعاقّ ، والعاصي لربه ، أو مَن تعب ولم يُحَصّل مقصوده [٢] .

والشقاء في اللغة وكذا الشقاوة : ضد السعادة . والشقاء : الشدة والعسرة . والمشاقاة : المعاناة والممارسة . وشقى : تعِس وساءت حالته [٣] .

أما " الشقيّ " اليوم فإنهـــا تطلق – في العامية – على الصبي الصغير كثير الحركة والنشاط والحيوية ، وربمـــا قيلت من باب الملاطفـــة والمداعبة ، وإلى ذلك التطور أشار فندريس بقوله : " إن أعنف الكلمات تتأتى للغضب أو العنف قـــد تستعمل أحياناً في الملاطفة ، فمن المألوف أن يُدعى الطفـــل " فاجر " أو " الخبيث الصغير " ، ويوصف الصديق بـــ " المعتوه الطيب " . " [٤] .

وبهذا تكون هذه الكلمة قـــد انتقل استعمالها من مجال الوصف بالسوء إلى مجال الملاطفة . وقد تستعمل هذه الكلمة أيضـــاً في فصحى العصر ويراد بها المجرم الخارج على القانون ، ومن ثم فقد انتقلت دلالة الكلمة مرة أخرى لعلاقة المسببية ، من حيث كانت الجريمة سبباً في التعاسة والشقاء .

---

[1] (هود / ١٠٥ ، مريم / ٤ ، ٣٢ ، ٤٨) .

[2] يراجع زاد المسير (٤ / ١٥٨ ، ٥ / ٢٠٧ ، ٢٣٠) ، وكذا البحر المحـــيط (٥ / ٢٦٢ ، ٦ / ١٧٣ ، ٢٢٤) ، وتفسير القرطبي (١١ / ٧٧ ، ١٠٣) .

[3] يراجع اللسان والقاموس والتاج (شقو) ، ومقاييس اللغة (٣ / ٢٠٢) .

[4] اللغة لفندريس (ص / ٢٦٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. ما اتسعت دلالته بسبب الانحراف اللغوي :

يُقصد بالانحراف اللغوي ما تقع فيه الجماعة اللغوية من أخطاء لغوية ، يترتب عليها تطور في دلالة بعض الكلمات . ولهذا الانحراف أسباب متعددة ، منها :

- الخطأ في الفهم : وهو ناجم عن تخمين معنى الكلمة من خلال السياق [١] .
- الخطأ في الصياغة : ويترتب عليه مطابقة الكلمة كلمة أخرى ، فينشأ اللبس في دلالتهما .
- الخطأ في القياس : وهو ناجم عن مشابهة كلمة لأخرى في الصياغة فتلتبس معناها بالأخرى عند الجماعة اللغوية [٢] .
- الخطأ الصوتي (وأعني به الإبدال غير المشروط) : ويترتب عليه مطابقة كلمة لأخرى فينشأ اللبس في دلالتهما . ويُعـد التطور الصوتي الناشئ عن هذه الأخطاء أمراً حتمياً ، حتى " إن المرء الواحد قد ينطق الصوت الواحد من لغته نطقين متباينين في ظروف متباينة " [٣] .

فمثال الخطأ في الفهم كلمة " الذمة " في قوله تعـالى : ﴿ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وِلاَ ذِمَّةً ﴾ [٤] . وقوله عز وجل : ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ﴾ [٥] . ومعناها في التفسير : العهد ، أو الأمان ، أو التذمم مما لا عهد له [٦] .

---

[1] يراجع دلالة الألفـاظ : إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القـاهرة ، ١٩٨٥م ، (ص / ١٣٥) .

[2] يراجع التطور اللغوي (ص / ١٩١) .

[3] الأصوات اللغـوية : إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو ، القـاهرة ، ١٩٧٥م ، (ص / ٢٣٠) ، ويراجع علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي (ص/ ٢٨٦) .

[4] (التوبة / ٨) .

[5] (التوبة / ١٠) .

[6] يراجع مجاز القرآن (١ / ٢٥٣)، وزاد المسير (٣ / ٤٠٢) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٣٨) ، والبحر المحيط (٥ / ١٣) ، وتفسير القرطبي (٨ / ٧٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والذمة في اللغة : العهد والأمـــان والضمان والحرمة والكفالة والحق والذمام : كل حرمة تلزمك إذا ضيعتهـــا المذمة . وعند الفقهـــاء : معنى يصير الإنسان به أهلا لوجوب الحق له أو عليه ، يقال : في ذمتي لك كذا (١) .

وفي العامية تستعمل الذمـــة بمعنى الإخلاص ، يقال : فلان يعمل بذمة . وعنده ذمة في عمله ؛ لأنهم فهموا قول القائلين : فلان لا ذمة له - أي لا عهد له ولا أمان له - أنه إنسان لا يرعى الله في عمله ، ومن ثم لا إخلاص عنده .

ومثّل هذا كلمة : " زمهرير " في قوله تعالى : ﴿ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ (٢) . وجاء التفسير بأنه البرد الشديد ، وزاد بعضهم : القمر (٣) .

وفي اللغة : شدة البرد ، وهو ما أعده الله تعالى عذابا للكفار ، وزمهرت عيناه: احمرتا من الغضب ، وازمهرت الكواكب : لمعت واشتد ضوءها (٤) .

وفي العامية يقولون : " نار الزمهرير " أي الملتهبة ؛ لأنها قرنت بعذاب الله والمشهور من عذاب الله هو النار ، ففهم الزمهرير على أنه النار ، وقرب هذا المعنى أن ازمهرار العين احمرارها من الغضب ، فأشبه هذا الاحمرار احمرار النار الملتهبة ، وقد أدى هذا الخطأ إلى تطور الدلالة إلى الضد (٥) .

ومثال الخطأ في الصياغة الفعـــل : " لبس يلبس " ، الذي ورد في القرآن سبع مرات (٦) ، وأجمع أهل اللغـــة والتفسير على أنه : الخلـــط والاضطراب

---

١ يراجع اللسان والقاموس والتاج والوسيط (ذمم) ، ومقاييس اللغة (٢ / ٣٤٥) .

٢ (الإنسان / ١٣) .

٣ يراجـــع الكشاف (٤ / ١٩٧) ، وزاد المسير (٨ / ٤٣٥) ، وتفسير ابن كثيـــر (٤ / ٤٥٦)، والبحر المحيط (٨ / ٣٩٦) ، وتفسير القرطبي (١٩ / ١٣٧) .

٤ يراجع اللسان والقاموس والتاج (زمهر) ، ومقاييس اللغة (٣ / ٥٥) .

٥ تراجع هذه الظاهرة في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، (ص / ٣١١) .

٦ بلفظ الماضي (الأنعام / ٩) ، وبلفظ المضارع (البقرة / ٤٢) ، (آل عمران / ٧١) ، (الأنعام / ٩ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ١٣٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإشكال [1] . أما الآن فإن هذا الفعل يعني في العامية ارتداء الثوب ؛ وذلك لشيء من حظ في صوغ الفعل لبس يلبس ، الذي هو بمعنى ارتداء الثوب ، فيفتحون عينه في الماضي ويكسرونها في المضارع ، فاتحدت صيغة الفعلين وبقي المعنى الأشهر (الارتداء) ، واختفى الأقل شهرة (الخلط) [2] .

ومنه كذلك كلمة : " سرائر " ، الواردة في قول الله تعالى : ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ [3] ، جمع سريرة ، وجاء التفسير أنها : السر المكنون ، وكل ما تستره الإنسان من خير أو شر ، وأضمره من إيمان وكفر ، وأكنته القلوب من العقائد والنيات [4] . وهي كذلك في اللغة [5] .

أما الآن فإن هذه الكلمة في العامية تعني جمع كلمة " سرير " ، الذي هو " مستقر الرأس والجسد عند النوم " ، وليس جمع سريرة ؛ ذلك لأنهم يجمعون - بطريق الخطأ - السرير على (سراير) ، ثم إذا أرادوا تفصيحها قالوا : سرائر ، توهما أن أصلها الهمزة ثم سهلت إلى الحرف الموافق لحركتها وهو الياء ، كما قالوا في عرائس : عرايس ، وفي عجائب : عجايب . فهذا خطأ في صياغة الجمع أدى إلى هذا التطور [6] .

---

[1] يراجع معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٨) ، ومجاز القرآن (١ / ٩٦) ، والكشاف (١/ ٢٧٦ ، ٢/ ٣٣ ، ٥٤) ، والبحر المحيط (١/ ١٧٩ ، ٢/ ٤٩٠) .

[2] تميل العامية إلى فتح عين الفعل المكسورة في الماضي ، فيقولون في سمع : سمع وفي علم : علم ، وفي شرب : شرب .

[3] (الطارق / ٩) .

[4] يراجع الكشاف (٤ / ٢٤١) ، وزاد المسير (٩ / ٨٤) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٨) ، والبحر المحيط (٨ / ٤٥٦) ، وتفسير القرطبي (٢٠ / ٨) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج (سرر) ، ومقاييس اللغة (٥ / ٢٣٠) .

[6] قياس جمع سرير : أسرة وسرر؛ لأن (أفعلة) مقيس في كل اسم ليس وصفا مذكر رباعي قبل آخره مد ، نحو طعام وأطعمة ورغيف وأرغفة ، أما (فعل) =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذا أيضاً كلمة " حسيس " ، الواردة في قوله تعالى : ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [1] . ويدور معنى الحس والحسيس في التفسير حول الحركة التي لها صوت يُحَسُّ كالأجرام ولهيب النار [2] . ولا يخرج معناهـا في اللغة عما قاله المفسرون ، فهي في اللغة : الحركة ، وأن يمر بك قريباً تسمعه ولا تراه . والصوت الخفي [3] . وتستعمل هـذه الكلمة الآن في العامية وفصحى العصر صفة مشبهة ، يقولون : رجل حسيس ، أي ذو إحساس قوي يشعر بالآخرين . ولا شك أن هذا التطور ناشئ عن خطـأ صوغهم الصفة المشبهة ، لأن فعل الإحساس : أحسّ ، من الرباعي ، لا من الثلاثي : حسّ ؛ وقد أشار إلى هـذا المعنى المعجم الوسيط وجعله من المولد [4] .

وأما <u>الخطأ في القياس</u> فهو نوع من أنواع الخطـأ في الفهم نتيجة تخمين معنى الكلمة ، والفـرق بينه وبين ما سمَّيناه الخطأ في الفهم أن التخمين فيما أوردناه سلفاً مبني على توقـع المعنى من خلال السياق ، ولا علاقة لفظية بين الكلمتين : المقيسة ، والمقيس عليهـا ، وأما ما أطلقنا عليه " خطأ القياس " فإن

= فينقاس في في شيئين : وصف على فعول ، نحو صبور وصُبُر ، وفي كل اسم رباعي صحيح اللام قبل لامه مد ، نحو عماد وعُمُد ، وقلوص وقُلُص وبريد وبُرُد. أما " سريرة " فقياس جمعها سرائر ؛ لأن (فعائل) مقيس في كل رباعي اسم أو صفة مؤنث تأنيثاً لفظياً أو معنوياً ثالثه مد . يراجع جموع التصحيح والتكسير في اللغـة العربية : عبد المنعم سيد عبد العال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، (ص / ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٨) .

[1] (الأنبياء / ١٠٢) .

[2] يراجع مجاز القرآن (٢ / ٤٢) ، والكشاف (٢ / ٥٨٥) ، والبحر المحيط (٦/ ٣٤٢) ، وتفسير القرطبي (١١ /٣٤٥) .

[3] يراجع لسان العرب والقاموس والتاج (حسس) .

[4] المعجم الوسيط (حسس) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التخمين فيه مبني على التشابه اللفظي بين الكلمتين ، كما سنرى [١] .

ومثل ذلك كلمة " غول " بالفتح في قوله تعالى يصف الجنة : ﴿ لا فيها غول ﴾ [٢] . وهي في التفسير بمعنى صداع الرأس ، أو وجع البطن ، أو كل ما يغتال العقول من مرض وصداع ، أو كل أذى ناشئ عن شرب الخمر [٣] . وفي اللغـــة كذلك [٤] . بيد أن هذه الكلمة إذا سمعها كثير من المثقفين – فضلا عن العامة – فقد يظنونها تفصيح كلمة : " الغول " [٥] ، وهو الحيوان الوهمي الذي تحدث عنه العرب . والسبب تشابه اللفظين ، فنشأ القياس الخاطئ .

ومثلها كلمة : " الروح " بفتح الراء ، في قوله تعالى : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ [٦] . وقوله : ﴿ فروح وريحان ﴾ [٧] . وجاء معناها في التفاسير الراحة والسعة والرخاء . كما جاء معناها في اللغة قريبا منه : الراحة والرحمة

---

[١] يراجع نماذج من ذلك في : البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبـــة دار التراث ، القاهرة ، (١ / ٢٩٨) . وقد مثل الدكتور رمضان عبد التواب لهذه الظاهرة بـــ " سافرة " ، أي ظاهرة حاسرة الرأس ، فقـــد يتصور معناها " سافلة " ؛ لتشابه اللفظين. يراجع التطور اللغوي (ص / ١٨٣) .

[٢] (الصافات / ٤٧) .

[٣] يراجع مجاز القرآن (٢ / ١٦٩) ، وزاد المسير (٧ / ٥٧) ، وتفسير ابن كثيـــر (٤ / ٦) ، والبحر المحيط (٧ / ٣٦٠) ، القرطبي (١٥ / ٧٨) .

[٤] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (غول) .

[٥] أطلق اللغويون على هذه الظاهرة : (overcorrectness) الحذلقة أو المبالغة في التفصيح ، ومثلوا لها بكلمات مثل : " الثوم " ، وصوابها : " الثوم " ، و" الحـــوت " وصوابها : " الحوت " . يراجع في ذلك اللغـــة لفندريس (ص / ٨٠) ، والتطور اللغوي (ص / ١١٥) .

[٦] (يوسف / ٨٧) .

[٧] (الواقعة / ٨٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونسيم الريح [1] . أمـــا في العامية وفصحى العصر فيستعملون الرَّوْح بمعنى " الرُّوح " بالضم والكلمتان مترادفتان عندهم . وسبب هذا التطور تشابه اللفظين الذي نشأ عنه القياس الخاطئ .

ومثلها كلمة : " الرِّيع " بالكسر ، في قوله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [2] . وتفسيرهـــا : الجبل ، والمرتفع من الأرض ، والطريق [3] . وفي اللغة " الرِّيع " بالكسر : الصومعة وبرج الحمام والتـــل العالي ، و" الرِّيع والرَّيْع " بالكسر والفتح : المرتفع من الأرض ، والجبـــل العالي ، وكل فج ، والطريق في الجبـــل ، وسيل الوادي من مكان مرتفع ، فأمـــا " الرَّيْع " بالفتح فقط فهو فضل كل شيء ، كريع العجين والدقيق [4] .

إلا أن كلمة " الرِّيع " بالكسر تطلق الآن في العامية والفصحى المعاصرة على فضل الربح من التجارة ونحوها ، يقال : فلان يعيش على ريع تجارته ، وعلى ريع أرضه ، وهم بذلك يقيسون – بطريق الخطأ – لفظ الرِّيع على لفظ الرَّيْع ؛ وذلك لتشابه اللفظين ، مع أن الكلمة بهذا المعنى لم تأت إلا بالفتح .

وشبيه بهذا كلمة : " خَلاق " ، وقـــد وردت في القرآن ست مرات [5] . وجاء التفسير بأنها : النصيب والحظ ، وقال بعضهم : من الخير خاصة . وفي آية التوبـــة : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ... ﴾ : استمتعوا بنصيبهم من الآخـــرة في

---

[1] يراجع مجاز القرآن (٢/ ٢٥٣)، والكشاف (٢/ ٣٤٠ ، ٤/ ٦٠)، وزاد المسير (٤/ ٢٧٦ ، ٨/ ١٥٦) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠)، وتفسير القرطبي (٩ / ٢٥٣ ، ١٧ / ٢٣٢) ، ويراجع اللسان القاموس والمعجم الوسيط (روح) .

[2] (الشعراء / ١٢٨) .

[3] يراجع مجاز القرآن (٢ / ٨٨) ، والكشاف (٣ / ١٢١) ، وزاد المسير (٦ / ١٣٥) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٤١) ، والبحر المحيط (٧ / ٣٢) .

[4] القاموس (ريع) ، ويراجع اللسان والتاج ، ومقاييس اللغة (٢ / ٤٦٧) .

[5] (البقرة / ١٠٢ ، ٢٠٠) ، (آل عمران / ٧٧) ، (التوبة / ٦٩ ، ٦٩ ، ٦٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدنيا [١] . وكذلك في اللغة " الخلاق : الخير والنصيب من الخير والصلاح ، يقال : لا خلاق له في الآخـــرة ، ورجل لا خلاق له أي لا رغبة له في الخير ولا في الآخرة ولا صلاح له في الدين " [٢] .

بيـــد أن العامة إذا سمعوا : فلان لا خلاق له ذهب وهلهم إلى : لا أخلاق له ، جمع خلق ، والخلق : السجية والطبع والمروءة والدين ، ومنه قول عائشة رضي الله عنها : " كان خلقه القرآن " ، وهذا التوهم ناجم عن تشابه اللفظين : أخلاق وخلاق ، أما قول حافظ إبراهيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده مـــا لم يتـــوج ربه بخلاق

فإما أن يكون الخلاق هنا بمعنى إرادة الخير والصلاح ، وإلا فقـــد توهم الشاعر أن الخلاق بمعنى الأخلاق التي هي الطباع والسجايا .

وأمـــا عن الأخطاء الصوتية فإنهم في العامية يقلبون الذال دالا في نحو : ذاب ، ذراع ، ذبح ، أذان ، ذهب ، فيقولون : داب ، دراع ، دبح ، أدان ، دهب [٣] تبعا لقانون السهولة والتيسير . ومنه كذلك الفعل " نفذ " أي مضى واخترق ، ونفذ القوم : جازهم وخلفهم ، فيقولون فيه : " نفد " بإبدال الذال دالا ، ويقولون : نفد السهم في جسمه ، ونفد فلان من مصيبة ، يعني أنه اجتازها ، فاشتبه بالفعل " نفد " الوارد في خمسة مواضع من القرآن [٤] ، منها قول الله

---

[١] يراجع العمدة في غريب القرآن (ص/ ٨١)، والكشاف (١ / ٣٠١ ، ٣٥٠ ، ٢ / ٢٠١) ، وزاد المسير (٣ / ٤٦٧)، وتفسير ابن كثير (١ / ٢٤٣ ، ٣٧٥ ، ٢ / ٣٦٨) ، وتفسير القرطبي (٢ / ٨٧١ / ١٩٩) .

[٢] اللسان (خلق) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[٣] يراجع الأخطاء الشائعة و أثرها في تطور اللغة : ماجد الصايغ ، ط ١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠ ، (ص / ٥٥) وما بعدها .

[٤] (الكهف / ١٠٩ ، ١٠٩) ، (النحل / ٩٦) ، (لقمان / ٢٧) ، (ص / ٥٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ ، وهو بمعنى فَنِيَ وذهب وانتهى ، ومن ثم فإن الفعل " نفد " [1] قد تطور إلى معنى المضي والاختراق ، وعليه فقد نشأ بسبب هذا التطور نوع من المشترك اللفظي [2] . هـذا وربما عاقبت العرب قديماً بين الذال والدال ، فيقولون : عذوقاً وعدوقاً ، واذْرَعفَّ وادْرَعفَّ ، والدحادح والذحاذح [3] .

ومثل ذلك أيضاً قلبهم الذال زاياً ، كما في : ذئب ، ذهن ، ذكي ، بذر ، رذالة ، فيقولون : زئب ، زهن ، زكي ، بزر ، رزالة [4] ، ومنها كذلك الفعل " ذلّ يذلّ " بمعنى ضعُف وهان وخضع ، و" أذلّ " : أهان وأخضع ، فإنهم في العامية يبدلون الذال زاياً ، فيطابق الفعل " زلّ يزلّ أزلّ " ، يقال : زلّت قدمه : زلقت ، وزلّ في منطقه ورأيه : أخطأ ، وزلّ عن مكانه : تنحّى عنه ، وزلّت منه إلى فلان نعمة : وصلت منه إليه نعمة [5] . ومن ثم تطور الفعل " زلّ " الوارد ثلاث مرات بالقرآن الكريم [6] إلى معنى الضعف والهوان والخضوع ،

---

[1] وإن كان الفعل الأصلي مكسور العين في الماضي ، أما بعد تطوره من " نَفَذَ " إلى " نَفِد " ، فإنه مفتوح العين في الماضي .

[2] يرى بعض اللغويين أن الإبدال سبب لوقوع المشترك اللفظي ، منهم الدكتور أحمد مختار عمر [يراجع علم الدلالة ، (ص / ١٦٠)] ، ويُخرج آخرون كل ما اتحد لفظه بسبب الإبدال وتعددت معانيه من المشترك اللفظي ، ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس [يراجع في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٨٤م ، (ص / ٢٠١)] .

[3] يراجع الإبدال : ابن السكيت ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، (ص / ١٤٠) .

[4] يراجع الأخطاء اللغوية وأثرها في تطور اللغة (ص / ٥٥) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (زلل) .

[6] (البقرة / ٣٦ ، ٢٠٩) ، (النحل / ٩٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك على مستوى العامية ، فيقولون مثلاً : فلان زل فلان وأزله .

ومثل هذا أيضاً إبدالهم السين صاداً في مثل الفعل " خرس " بمعنى انعقاد اللسان خلقة أو عيًّا ، فيقولون : خرَص ، وفي الأمر : اخْرصْ ، فيلتبس هذا بالفعل : " خرَصَ يخرِص " الوارد في خمسة مواضع من القرآن الكريم [1] ، وهو بمعنى كذب وحرز الشيء بالتخمين وقدّره بالظن . ومن ثم تطورت دلالة " الخرَص " إلى معنى انعقاد اللسان ، وربما فُهمت الآيات على هذا المعنى .

ومثله إبدالهم القاف همزة في مثل : " قَفَلَ " ، وهو في اللغة بمعنى ضمْر والجلد والشجر : يبس ، ومن السفر: رجع ، وصعد الجبل ، أما معنى الإغلاق فيكون مزيداً بالهمزة : أقفل [2] ، وفي العامية يقولون " أفل " بمعنى أغلق الباب ونحوه ، فتطابق مع الفعل " أفل " في القرآن الكريم بمعنى غاب وغرب في ثلاثة مواضع ، واسم الفاعل منه في موضع واحد [3] ، ومن ثم تطورت دلالة الفعل " أفل " – في العامية – الذي بمعنى غاب إلى معنى الإغلاق .

ومن هذا أيضاً كلمة : " إربة " في قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ [4] ، بمعنى البغية ، أو البغية في النساء خاصة . وقد تطورت كلمة " قربة " – وهي الظرف من الجلد يُحفَظ فيه الماء ونحوه – تطوراً صوتياً في العامية إلى " إربة " فوافقت الإربة بمعنى البغية .

ومنه كلمة : " عائلاً " في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ [5] ، بمعنى القائم على عياله بما يحتاجون إليه ، فقد التبس معناها بمعنى كلمة :

---

[1] (الأنعام/ ١١٦ ، ١٤٨)،(يونس/ ٦٦)،(الزخرف/ ٢٠)،(الذاريات/ ١٠) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (قفل) .

[3] (الأنعام / ٧٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨) .

[4] (النور / ٣١) .

[5] (الضحى / ٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" عاقل " بمعنى المدرك الراشد ذي العقل ، وذلك بعد إبدال قافها همزة .

٣. ما اتسعت دلالته بسبب ظهور الحاجة :

مع التطور السريع الذي يشهده العالم في مجالات الحياة كافة تنشأ أفكار جديدة ومستحدثات عصرية لا حصر لها ، وكان لا بد لكل مستحدث من لفظ يناسبه ، وهنا يلجأ أبناء اللغة إلى تراثهم اللغوي ، فيحيون بعض ألفاظه ، ويطلقونه على تلك المستحدثات ، متلمسين في ذلك أدنى ملابسة بين دلالة هذه الألفاظ ، ومخترعاتهم ، فهناك " آلاف الألفاظ أحياها الناس أو اشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم الجديدة ، وتتم هذه العملية عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية " (١) . وينشأ عن هذا أن يكون للفظ الواحد معنيان : قديم وحديث ، وربما اشتهر المعنى الحديث وتوارى القديم ، ومن ثم يقع التطور الدلالي لهذا اللفظ أو ذاك .

ومثاله في القرآن كلمة " سيارة " ، في قوله تعالى : ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ...وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ (٣) ، وواحدها : سيَّار وهو كثير السير ، وجاء التفسير : المسافرون والناعون ، وقيل – في آية المائدة – راكبو البحر خاصة ، وقيل : هم المقيمون والمسافرون جميعاً (٤) . ومدار معنى السيارة في اللغة : القافلة والقوم يسيرون (٥) . ولما أن اختُرعت

---

[1] دلالة الألفاظ (ص / ١٤٧) .

[2] (يوسف / ١٠ ، ١٩) .

[3] (المائدة / ٩٦) .

[4] يراجع الكشاف (٢ / ٣٠٨) ، وزاد المسير (٢ / ٤٢٨ ، ٤/ ١٩٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٠٢) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٣ ، ٥/ ٢٨٩) ، وتفسير القرطبي (٦ / ٣٢١ ، ٩ / ١٥٣) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (سير) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" عاقل " بمعنى المدرك الراشد ذي العقل ، وذلك بعد إبدال قافها همزة .

٣. ما اتسعت دلالته بسبب ظهور الحاجة :

مع التطور السريع الذي يشهده العـــالم في مجالات الحياة كافـــة تنشأ أفكار جديدة ومستحدثات عصرية لا حصر لهـــا ، وكان لا بد لكل مستحدث من لفظ يناسبه ، وهنـــا يلجأ أبناء اللغة إلى تراثهم اللغـــوي ، فيحيون بعض ألفاظـــه ويطلقونه على تلك المستحدثات ، متلمسين في ذلك أدنى ملابسة بين دلالة هذه الألفاظ ، ومخترعاتهم ، فهناك " آلاف الألفاظ أحياها الناس أو اشتقوها وخلعوا عليهـــا دلالات جديدة تطلبتهـــا حياتهم الجديدة ، وتتم هـــذه العملية عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية " [١] . وينشأ عن هذا أن يكون للفظ الواحد معنيان : قديـــم وحديث ، وربمـــا اشتهر المعنى الحديث وتوارى القديم ، ومن ثم يقـــع التطور الدلالي لهذا اللفظ أو ذاك .

ومثاله في القرآن كلمة " سيارة " ، في قوله تعالى : ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ...وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [٣] ، وواحدهـــا : سيَّار وهو كثير السير ، وجاء التفسير : المسافرون والناعون ، وقيل – في آية المائدة – راكبو البحر خاصة ، وقيل : هم المقيمون والمسافرون جميعاً [٤] . ومدار معنى السيارة في اللغة : القافلة والقوم يسيرون [٥] . ولما أن اختُرعت

---

[1] دلالة الألفاظ (ص / ١٤٧) .

[2] (يوسف / ١٠ ، ١٩) .

[3] (المائدة / ٩٦) .

[4] يراجع الكشاف (٢ / ٣٠٨) ، وزاد المسير (٢ / ٤٢٨ ، ٤/ ١٩٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٠٢) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٣ ، ٥/ ٢٨٩) ، وتفسير القرطبي (٦ / ٣٢١ ، ٩ / ١٥٣) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (سير) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عربة سريعة تسير بالبنزين ونحوه وتُستخدم في الركوب والنقل أطلقوا عليها لفظ " السيارة " ؛ لما لها من وجه تعلُّق بأصل المعنى القديم وهو عملية السير ، فأحيوا بذلك اللفظ القديم ، إلا أن المعنى الأول قد انزوى وبقي المعنى الجديد .

ومن ذلك أيضاً كلمة : " الجيْب " في قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [2] ، وقوله عز وجل : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [3] . وجيب القميص في اللغة : طوقه الذي يُدْخَل منه الرأس عند لبسه [4] ، وهكذا جاء التفسير ، وقيل هو موضع الجيب وهو الصدر ، تسمية بما يليه ويلابسه [5] . فلمَّا استُحدث للقميص طوق ينفذ إلى حافظة للدراهم أُطلِق عليه جيب ؛ لشبهه بطوق القميص الذي يُدْخَل منه الرأس ، وتوارى المعنى القديم ، وصار الجيب بمعناه الحديث هو الأشهر ، حتى فُهِمَت آيتا النمل والقصص عليه .

ومنه أيضاً كلمة : " الفصيلة " في قوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ [6] . وهي في التفسير بمعنى : العشيرة وأدنى القبيلة والأقرباء الأدنون [7] . وأصل الفصيلة لغةً : القطعة من أعضاء الجسم ، أو هي قطعة من لحم الفخذ ، ثم استعيرت

---

[1] (النور / ٣١) .

[2] (النمل / ١٢) .

[3] (القصص / ٣٢) .

[4] يراجع اللسان والقاموس والتاج (جيب) ، ومقاييس اللغة (١ / ٤٩٧) .

[5] يراجع معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٤٩) ، والكشاف (٣ / ٦٢) ، وزاد المسير (٦ / ١٥٨) ، وتفسير ابن كثير (٣/٢٨٤) ، وتفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٠) .

[6] (المعارج / ١١ : ١٣) .

[7] يراجع الكشاف (٤ / ١٥٨)، وزاد المسير (٨ / ٣٦١)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٠) ، والبحر المحيط (٨ / ٣٣٤) ، وتفسير القرطبي (١٨ / ٢٨٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للعشيرة والرهط الأدنين الذين انفصل عنهم المرء [١] . ثم إنه بعد تطور علوم النبات والحيوان ، وظهور أنواع جديدة وتصنيفات عديدة ، أطلقت كلمة الفصيلة على : " جملة أجناس لها صفات مشتركة " ؛ لشبه ذلك بعشيرة الإنسان ورهطه الأدنين . وبالمثل لما تطورت النظم العسكرية ، وقسم الجيش أقساما عديدة ، أطلق على أحد أقسامه لفظ الفصيلة ؛ مراعاة للمعنى اللغوي ، من حيث كانت الفصيلة جزءا منفصلا من الجيش . وهناك أيضا الفصائل النحوية .

ومنه كلمة " الشقة " في قوله تعالى : ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ [٢] ، وهي عند المفسرين : المسافة الشاطة الشاقة ، أو السفر إلى أرض بعيدة ، أو القطعة من الأرض يشق ركوبها [٣] . وفي اللغة : الشقة (بالضم والكسر) : ضرب من الثياب ، وأيضا السفر البعيد ، وبعد مسير في الأرض ، والمشقة . وبالكسر فقط : الشظية ، أو القطعة المشقوقة من لوح أو خشب أو غيره [٤] .

ولما كثرت المساكن وظهرت الحاجة إلى تسمية الوحدة المستقلة المقتطعة من البيت الكبير ، أطلق عليها في العامية والفصحى المعاصرة لفظ الشقة [٥] ، لما فيه من دلالة اقتطاع جزء من كل . وربما ضمت الشين في العامية ، فصار للفظ معنيان : عامي بمعنى جزء البيت الذي تنفرد بسكناه أسرة ، وآخر فصيح وهو الوارد في الآية . وهناك أيضا الشقة بمعنى جزء رغيف الخبز .

---

[١] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (فصل) .

[٢] (التوبة / ٤٢) .

[٣] يراجع تفسير غريب القرآن (ص / ١٨٧) ، والكشاف (٢ / ١٩١) ، وزاد المسير (٣ / ٤٤٤) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٠) ، والبحر المحيط (٥ / ٤٥) وتفسير القرطبي (٨ / ١٥٣) .

[٤] يراجع اللسان والقاموس والتاج (شقق) .

[٥] أجاز المجمع اللغوي هذا اللفظ بهذا المعنى ، يراجع المعجم الوسيط (شقق) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه كلمة : " براءة " في قوله تعالى : ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ [٢] ، وقد جاء تفسيرها في الأولى : قطع الموالاة وارتفاع العصمة وزوال الأمان . وتفسيرهـــا في الثانية : السلامة من العقوبة [٣] . وهي كذلك في اللغة ، وبمعنى الإعذار والإنذار أيضا [٤] .

ومع تطور النظم الإدارية بين الحكومات ، وظهـــور منصب القنصل أطلق " براءة الاعتماد " في فصحى العصر على : " الأمر الصادر من الدولة المعتمد لديها القنصل بالإذن له في مباشرة عمله القنصلي في دائرة اختصاصه " [٥] . وبالمثل فإنه مع كثرة المخترعات واحتياج المخترع أن يثبت حقه في الاختراع أطلق " براءة الاختراع " في الفصحى المعاصـــرة على : " الشهادة التي تعطى للمخترع الذي سجل اختراعه " [٦] ، والرابط بين الدلالتين التراثية والحديثـــة هو معنى تخليص الشيء وتحريره وتمييزه وتباعده عن غيره ومزايلته [٧] .

ومن ذلك أيضا الفعل : " يدمغ " في قوله تعالى : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطـــل فيدمغه ﴾ [٨] ، وهو في التفسير بمعنى : القهـــر ، والهلكة ، ودحض

---

[١] (التوبة / ١) .

[٢] (القمر / ٤٣) .

[٣] يراجع الكشاف (٢ / ١٧٢ ، ٤ / ٤١) ، وزاد المسير (٣ / ٣٩٢ ، ٨ / ١٠٠) وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٦٩) ، والبحر المحيط (٥ / ٥ ، ٨ /١٨٢) ، وتفســـير القرطبي (٨ / ٦٣ ، ١٧ / ١٤٥) .

[٤] يراجع اللسان والقاموس والتاج (برأ) .

[٥] وهو مما أجازه المجمع اللغوي ، يراجع المعجم الوسيط (برأ) .

[٦] وهو مما أجازه المجمع اللغوي ، يراجع المعجم الوسيط (برأ) .

[٧] يراجع مقاييس اللغة (١ / ٢٣٦) .

[٨] (الأنبياء / ١٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحق للباطل " [١] ، وأصله اللغوي شج الرأس حتى يبلغ الدماغ [٢] .

ومع ظهور الحاجة إلى تمييز المعـــادن النفيسة كالذهب والفضة ، ونعيس وزنهـــا ، ظهر في فصحى العصر مصطلح " دمغ المعدن " ، أي وسمه وطبعه بطابع خاص ، وأطلقت " دمغة المسكوكات " على العلامة التي تضعها الإدارة الحكومية المختصة للتيقن من عيار المعدن [٣] . ويبدو أن سبب اختيار الدمغ لهذا المعنى ما فيه من طرق على المعدن من عل ، مثلما تطرق الرأس وتشج .

ومنه كذلك كلمة : " الساعة " الواردة في غير موضع من القرآن ، ومعناها جزء من الوقت ، ويوم القيامة ، ولما ظهرت الحاجة لآلة تضبط الوقت أطلقت كلمة " الساعة " – في الفصحى المعاصرة والعامية – على هذه الآلة .

٤. ما اتسعت دلالته بسبب اختصار العبارة :

أشار إلى هـــذا النوع كثير من اللغويين ، منهم استيفان أولمـــان والدكتور رمضان عبد التواب [٤] ، ومن أمثلته في الإنجليزية : (constitutional) ، أي المشي لأغراض صحية ، وأصلها (constitutional walk) ، فلما اشتد ما بين الكلمتين من ترابط صارت الأولى وحدها قادرة على أداء معنى العبارة كلها . ومثاله في العربية قولهم : ابن ذوات ، ويقصدون به ابن أغنياء ، وكان أصلها : ابن ذوات أملاك . وكذا قولهم : فلان قد بلغ ، يريدون : بلغ الحلم .

ومثل ذلك في القرآن كلمة : " دون " ، ولها في اللغة عدة معان ، منها : غير ، أصغر ، أدنى ، أقل ، والذي يهمنا هنا هو المعنى الأخير ، وقد ورد في قول الله عز وجل :﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعـــا وخيفة ودون الجهـــر من

---

[١] يراجع الكشاف (٢/ ٥٦٥) ، وزاد المسير (٥ / ٣٤٤) .

[٢] يراجع اللسان والقاموس والتاج (دمغ) .

[٣] وهو من المعاني التي أجازها المجمع اللغوي ، يراجع المعجم الوسيط (دمغ) .

[٤] يراجع دور الكلمة (ص / ١٨٠) ، والتطور اللغوي (ص / ١٩١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْقَوْلِ ﴾ (١) ، وكذلك في قوله تعالى - في أرجح الأقوال - : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٢) ، أي : أقل من الجهر وأخفض منه ، وجنتان أقل من الجنتين في الفضل (٣) .

أما الآن فإن هذه الكلمة إذا أُطلقت دون إضافة فإنما يُقصد بها الذم ، يقال : هذا رجل دون ، أي : دون المستوى المرموق ، أو ما شابه ذلك ، فلما كثر استعمال هذا التعبير اختُصِرت العبارة ، فبقي المضاف وحُذف المضاف إليه .

ومنه كلمة : " مبسوط " ، في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٤) ، وفي التفسير : ممدودتان بالخير والعطاء (٥) ، والبسط في اللغة : النشر والمد وبسط يده : مدّها ، وبسط لسانه إليه بخير أو شر : أوصله إليه ، وبسط الله الرزق : وسّعه ، وبسط فلاناً : سَرَّه(٦) . وتستعمل " مبسوط " اليوم في العامية بمعنى غني ، فأصلها : مبسوط الرزق ، فاختُصِرت العبارة واكتُفي بصدرها .

وكلمة : " مُحْضَر " في غير موضع من القرآن، بعضها قُصِد به مُحضَرون إلى عذاب النار ، وبعضها قُصِد به محضَرون إلى الله تعالى يوم القيامة (٧) .

واليوم تُطلق هذه الكلمة في العامية وفصحى العصر على من يرفع القضايا إلى أصحابها ، والمسئول عن إعلامهم بمواعيد نظرها في المحاكم المختلفة ،

---

[1] (الأعراف / ٢٠٥) .

[2] (الرحمن / ٦٢) .

[3] يراجع زاد المسير (٨ / ١٢٤) ، وتفسير القرطبي (١٧ / ١٨٣) .

[4] (المائدة / ٦٤) .

[5] يراجع زاد المسير (٢ / ٣٩٣) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٧٥) .

[6] اللسان (بسط) ، ويراجع القاموس والتاج وأساس البلاغة .

[7] جاء المعنى الأول في : (القصص / ٦١) ، (الروم / ١٦) ، (سبأ / ٣٨) ، (الصافات / ٥٧ ، ١٢٧ ، ١٥٨) ، والمعنى الثاني في (يس / ٣٢ ، ٥٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان أصل التسمية : محضر النيابة أو ما شابهه ، أي الموفد من قبلهم ... القضايا ، فلم كثر استعمالها بهذه الدلالة حذف المضاف إليه وبقي المضاف ...

وقريب من هذا ما يسمى بالفصل الخاطئ [1] ، مثل قولهم في العامية ... مال فلان ؟ تسؤال عن حاله ، وأصلها : ما لفلان ، ففصل بين اللام و... وضمت اللام إلى (ما) الاستفهامية . وقولهم : عقبال فلان ، وأصلها : عقبى لفلان . ومثله أيضا : جاب كذا ، بمعنى أحضره ، وأصله : جاء بكذا ، فسهلت الهمزة ثم فصل فصلا خاطئا ، فصارت " جاب " فعلا واحدا بمعنى أتى بالشيء ، فطابق لفظه لفظ الفعل "جاب" بمعنى قطع في : ﴿ الذين جابوا الصخر ﴾ [2] ، فصار لـ "جاب" معنيان : فصيح بمعنى قطع ، وعامي بمعنى أحضر .

٥. ما اتسعت دلالته بسبب تطور المسمى نفسه :

قد ينتج التطور الدلالي للكلمة من جراء ما يلحق مسماها من تطور ، فتبقى الكلمة محتفظة بهيئتها الصوتية مع تغير المسمى ، ومن ذلك كلمة : " السفينة " في أربعة مواضع بالقرآن [3] . وكانت تطلق على المركبة البحرية البدائية ، ثم إنها اليوم تطلق على المركبات البحرية الضخمة ذات المحركات العملاقة .

ومن ذلك أيضا كلمة : " القميص " في مواضع ستة بالقرآن الكريم [4] . والقميص في العهود السابقة تعني الجلباب المعروف [5] ، أما الآن فالقميص نوع من أنواع الملابس المبتكرة حديثا يطلق على " لباس رقيق يرتدى تحت

---

[1] تراجع هذه الظاهرة في التطور اللغوي (ص / ١٤٥) .

[2] (الفجر / ٩) ، ويراجع العمدة في غريب القرآن (ص / ٣٤٦) .

[3] (الكهف / ٧١ ، ٧٩ ، ٧٩) ، (العنكبوت / ١٥) .

[4] (يوسف / ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٣) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج (جلب) ، أما في (قمص) فلم يذكر مصنفو هذه المعاجم معناه ، واكتفوا بقولهم : معروف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السترة غالبا [1] ، ولم يكن القميص بهذا الوصف معروفا قديما . ومن ثم تطور معنى القميص بسبب تطور المسمى نفسه ، حتى إنه قد هجر استعمال القميص بالمعنى الأول (القديم) .

ومنه الفعل " ساح " في قوله تعالى : ﴿ فسيحوا في الأرض ﴾ ، ومشتقاته ﴿ السائحون ﴾ ، ﴿ سائحات ﴾ [2] ، والسياحة في اللغة : " الذهاب في الأرض للعبادة والترهب ، وساح في الأرض يسيح سياحة أي ذهب ، وفي الحديث : " لا سياحة في الإسلام "، أراد بالسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض ، وأصله من سيح الماء الجاري ، قال ابن الأثير : أراد مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة . وسياحة هذه الأمة الصيام ولزوم المساجد، وإنما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح متعبدا يسيح ولا زاد معه " [3] .

وجاء تفسير آية التوبة الأولى " سيحوا " بمعنى انطلقوا آمنين بالأرض مقبلين ومدبرين [4] ، أما " السائحون " فهم الصائمون أو الغزاة أو طلاب العلم أو المهاجرون [5] . واليوم تطور مفهوم السياحة كثيرا بحكم التقدم الحضاري ، فأطلق على الانتقال من أجل التنزه والاستطلاع والكشف [6] ، فأضيف هذا المعنى الجديد إلى معاني السياحة السابقة بسبب تطور المسمى نفسه .

---

[1] المعجم الوسيط (قمص) .

[2] (التوبة / ٢) ، (التوبة / ١١٢) ، (التحريم / ٥) على الترتيب .

[3] اللسان (سيح) ، ويراجع القاموس والتاج .

[4] زاد المسير (٣ / ٣٩٣) ، ويراجع الكشاف (٢ / ١٧٢) .

[5] زاد المسير (٣ / ٥٠٦) ، وتفسير القرطبي (٨ / ٢٦٨) .

[6] وهو من المعاني الذي أجازها المجمع اللغوي ، يراجع المعجم الوسيط (سيح) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦. ما اتسعت دلالته بسبب التلطف في التعبير :

قد تستحدث الجماعة اللغوية كلمة تستعيض بها عن أخرى لها إيحاءات مكروهـــة ؛ بغرض التلطف في التعبير ، وهـــذه الظاهرة يطلق عليها في علم اللغة (Taboo) [١] ، أو اللامساس . وحديثاً إذا فرضت دولة سيطرتها على دولة أخـــرى لاستغلال خيراتها ، أطلق على ذلك مصطلح " الاحتلال " . فكان لهـــذه الكلمة إيحـــاء مكروه ، ومن ثم اضطر المحتلون إلى التلطف في التعبير عن فعلتهم ، فاستعانوا بلفـــظ : " الاستعمار " ، وكأنهم جاءوا للإعمار لا لنهب الخيرات ، فصار الفعـــل " استعمر " مرادفاً للفعل " احتلّ " ، ووافق الفعل في قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [٢] ، وتفسيره : جعلكم عمّارها وسكانها وأسكنكم فيهـــا وأطال أعماركم وأمركم بعمـــارة ما تحتاجون إليه فيهـــا [٣] . فصار للاستعمار معنيان : قديم يتعلق بالتعمير ، وحديث بمعنى الاحتلال [٤] .

---

[1] يراجـــع دور الكلمة (ص/ ٢٢٠) ، والتطور اللغوي (ص / ١٩٣) ، ودراسة المعنى عند الأصوليين (ص / ٢٠٤) .

[2] (هود / ٦١) .

[3] تفسير القرطبي (٩ / ٥٦) ، ويراجع الكشاف (٢ / ٢٧٨) ، وزاد المسير (٤ / ١٢٣) .

[4] المعجم الوسيط (عمر) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً : الألفاظ التي تخصصت (ضُيِّقت) دلالاتها

لبيان المقصود من هذا الباب ، أود الإشارة إلى الفرق بين التوسع في دلالة اللفظ القرآني وتضييق دلالته . فالفرق بينهما أن اللفظ القرآني في التوسع قد استعمل حديثاً بمعنى غير المعنى الذي جاء به القرآن ، ولا ورد في اللغة . أما في التضييق فإن اللفظ القرآني قد استعمل حديثاً بمعنى غير معناه في القرآن ، ولكنه من المعاني الواردة في اللغة .

ولتضييق المعنى صورتـــان ، الأولى : أن الكلمة كانت تطـــلق على أشياء متعددة ، ثم اقتصر إطلاقها على بعض منها ، مثل كلمة " الفاكهة " التي كانت تطلق على كل أنواع الثمار ، ثم خُصِّصت بأنواع معينـــة منها . والثانية : أن الكلمة كانت تطلق على شيء واحد ، ثم اقتصر إطلاقهـــا على جزء من هـــذا الشيء ، أو مجال من مجالاته ، مثل كلمة " الوادي " التي كانت تطلق على كل مطمئن من الأرض ، ثم صارت تطلق على النهر خاصة [1] .

وفيمـــا يلي سنتناول نماذج من الألفاظ القرآنية التي تطورت دلالاتها جهـــة التضييق ، ويمكن أن نصنفها بحسب أسباب هذا التطور ، على النحو التالي :

١. ما تخصصت دلالته لكثرة الاستعمال :

قد يكثر استعمال اللفظ القرآني بمعنى غير المعنى الوارد في القرآن – مع صحته في اللغـــة – فينتج هجر المعنى القرآني ، ومثاله كلمة : " التابوت " في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ [2] ، وقوله تعالى :

---

[1] تراجـــع هذه النماذج وغيرها بدلالة الألفاظ (ص / ١٤٥) ، وعلم الدلالة (ص / ٢٤٦) ، وعلم اللغة ـــ مقدمة للقارئ العربي (ص / ٣٠٩) ، والتطـــور اللغوي (ص / ١٩٦) .

[2] (البقرة / ٢٤٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ [1] . وفي اللغـــة : هو الصندوق الذي يحرز فيه المتاع [2] ، وهكذا معناه في الايتين [3] . أما في العامية وفصحى العصر فقد خُصصت دلالة التـــابوت ، فصار يعنى الصندوق الذي يُحمـــل فيه الميت دون غيره ؛ وذلك لكثرة استعماله في هذا المجال خاصة .

ومثل ذلك كلمة : دابة " ، التي وردت مفردة في القرآن أربع عشرة مرة . ومجموعـــة أربع مرات ، وتعني في بعض المواضـــع : كل مخلوق يدب على الأرض من إنسان وحيوان [4] ، وفي أخرى أُريد بها غير الإنسان [5] . وفي اللغـــة تعني كل مخلوق يدب على الأرض من إنسان وأنعـــام وحشرات [6] . واليوم ضُيِّق معنى الكلمة ، فصارت لا تطلق إلا على الحيوان أو ما يركب منه خاصة [7] ؛ لكثرة استعمالها في هذا النوع دون غيره .

وكذلك كلمة : " رَبّ " ، ومن معانيها في اللغة اسم الله تعالى ، وقد وردت كثيراً في القرآن بهذا المعنى . ومنها السيد ، كما في قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [8] . إلا أن هذه الكلمة اقتصرت دلالتهـــا في العامية وفي فصحى العصر على المعنى الأول دون غيره ؛ لكثرة استعمالها مع الله تعالى .

---

[1] (طه / ٣٩) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (تبت) .

[3] لم يذكر المفسرون تفسير معناه ؛ اعتماداً على كونه معروفاً في اللغة .

[4] على سبيل المثال : (البقرة / ١٦٤) ، (الأنعام / ٣٨) ، (هود / ٦) .

[5] على سبيل المثال : (الحج / ١٨) ، (فاطر / ٢٨) .

[6] يراجع اللسان والقاموس والتاج (دبب) .

[7] يراجع المعجم الوسيط (دبب) .

[8] (يوسف / ٤٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ذلك أيضاً كلمة : النصح ، وهي في اللغة : الإخلاص ، ونصح العسل : أخلصه مما فيه من شوائب ، ونصح قلبه : خلص وخلا من الغش ، ونصح فلاناً ونصح له : أرشده إلى ما فيه صلاحه [1] ، وذلك لما في هذا الإرشاد من إخلاص القول . وقد جاء القرآن بالمعنيين كليهما : الإخلاص بوجه عام كما في قول الله تعالى : ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا ما نصحوا لله ورسوله ﴾ [2] ، وبالمعنى الخاص وهو الإرشاد ، كما في قوله تعالى : ﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴾ [3] .

أما في العامية والفصحى المعاصرة فإن هذه الكلمة اقتصرت دلالتها على المعنى الخاص وهو الإرشاد ؛ لكثرة استعمالها في هذا المجال دون غيره .

ومثلها كلمة : " زعيم " ، فهي في اللغة : الكفيل ، وسيد القوم ، ورئيسهم ، أو المتكلم عنهم [4] ، وقد جاءت في القرآن الكريم بالمعنى الأول في قول الله تعالى : ﴿ ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾ [6] . ومع ذلك فإن هذا اللفظ غير مستعمل بتلك الدلالة في العامية ولا في فصحى العصر ، وإنما يُستعمل فقط بمعنى الرئيس وسيد القوم ؛ وذلك لكثرة تداوله بهذه الدلالة .

ومن هذا الباب أيضاً :

- كلمة : " أثاث " ، **وتعني في اللغة : متاع البيت أو المال أجمع** ، وجاءت

---

[1] يراجع اللسان والقاموس والمعجم الوسيط (نصح) .

[2] (التوبة / ٩١) .

[3] (الأعراف / ٧٩) .

[4] يراجع اللسان والقاموس والتاج (زعم) ، والفروق اللغوية (ص / ١٧١) .

[5] (يوسف / ٧٢) ، ويراجع الكشاف (٢/ ٣٣٤) .

[6] (القلم / ٤٠) ، ويراجع معاني القرآن للفراء (٣ / ١٧٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في القرآن بمعنى المال كله . واليوم لا تستعمل إلا بمعنى متاع البيت .

- كلمة : " خبيث " ، وهي في اللغة : الرديء المكروه من كل شيء ، وهكذا وردت في القرآن الكريم ، إلا أنها خُصِّصت دلالتها اليوم ، فصارت تطلق على الإنسان المخادع المدبر للشر دون غيره .
- كلمة : " مسرف " ، وتعني في اللغة : مَنْ جاوز القصد في النفقة أو الأكل أو الكلام أو القتل وغيره ، وقد جاء القرآن بالمعاني السابقة كافة . أما اليوم فالإسراف – إذا أُطلِق بلا تقييد – فهو في النفقة وحسب دون غيره .
- كلمة : " بور " ، وتعني في اللغة الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه ، وما بار من الأرض فلم يعمُر[1] ، وجاءت في القرآن وصفاً للإنسان الفاسد في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾[2] . واليوم لا تطلق هذه الكلمة إلا وصفاً للأرض الجدباء التي لا تنبت .
- كلمة : " منازل " ، وتعني في اللغة المنهل والدار ومنازل القمر مداراته التي يدور فيها حول الأرض ، وقد جاء القرآن بالمعنى الأخير في قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[3] . واليوم لا تطلق إلا على الديار .
- كلمة " بأس " ، وتطلق في اللغة على عدة معانٍ منها القوة والشدة ، ومنها العذاب والتنكيل ، وقد جاءت في القرآن بالمعنيين كليهما . أما الآن فلا تطلق إلا على المعنى الأول فقط .

هذا ويمكن إرجاع كثرة استعمال اللفظ بهذا المعنى أو ذاك دون المعاني الأخرى لعدد من الأسباب ، منها :

---

[1] القاموس (بور) ، ويراجع اللسان والمعجم الوسيط .

[2] (الفرقان / ١٨) .

[3] (يس / ٣٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ) شهرة المعنى المستعمل حديثا دون المتروك :

من ذلك مثلا كلمة : " حديد " ، بمعنى المعدن المعروف في قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ (١) ، وبمعنى الحاد ثاقب البصر في قول الله تعالى : ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ (٢) ، ولاشتهار المعنى الأول كثر دورانه فاستحق البقاء وانزوى المعنى الثاني .

ومنه أيضا كلمة : " الحيوان " في قول الله تعالى : ﴿ وإن الدار الاخرة لهي الحيوان ﴾ (٣) ، وهي تعني الحياة الباقية التي لا تزول (٤) . وهي في اللغة كذلك ، وبمعنى جنس من الحي ، وأصله : حييان (٥) . إلا أن الحيوان بمعنى الدواب خلاف الإنسان أكثر شهرة من المعنى الوارد في القرآن ، ومن ثم كثر استعماله فبقي وهجر المعنى القرآني في الاستعمال العامي .

ومنه كلمة : " ريش " في قول الله تعالى : ﴿ قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ﴾ (٦)، أي المال واللباس ، وقيل الخصب ورفاهة العيش (٧) . أما الآن فإن هذه الكلمة تكاد لا تطلق إلا على ريش الطائر الذي هو غطاء جسده ، وما ذلك إلا لشهرة هذا المعنى ، فكثر دورانه ، فتنحى ما عداه أو كاد.

وكذا كلمة " سماء "، وهي في الأصل كل ما علاك ، وسقف كل شيء(٨) ،

---

١ (الحديد / ٢٥) ، وكذا : (الكهف / ٩٦) ، (الحج / ٢١) ، (سبأ / ١٠) .

٢ (ق / ٢٢) ، وانظر زاد المسير (٨ / ١٤) ، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٢٥) .

٣ (العنكبوت / ٦٤) .

٤ يراجع تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٢) ، والعمدة في غريب القرآن (ص / ٢٣٧) .

٥ القاموس المحيط (حيي) ، ويراجع اللسان والتاج .

٦ (الأعراف / ٢٦) .

٧ يراجع معاني القرآن للفراء (١ /٣٧٥) ، ومجالس ثعلب (١ / ٣٥) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٢٠٧) ، وتفسير القرطبي (٧ / ١٨٤) .

٨ يراجع اللسان والقاموس والتاج (سمو) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد جاءت في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ (١) ، ومع هـذا فإن هذا المعنى العام قـد اندثر ، ولم يُرَد بالكلمة الآن إلا السماء المعروفة ؛ وذلك لشهرتها وكثرة دورانها في الكلام .

ومنه أيضا كلمة : " طائر " ، ومن معانيها في اللغـة : الدابة ذو الجناح ، وما تيمنت به أو تشاءمت ، وعمل الإنسان الذي قلّده (٢) . هذا وقد جاءت في القرآن بالمعاني الثلاثة جميعاً : الأول في مثـل قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (٣)، والثاني : في مثل قوله تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ (٤) . والثالث : في مثل قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ (٥) . واليوم في العامية وفصحى العصر لا تستعمل الكلمة إلا بالمعنى الأول لشهرتها به ، وأُهمل ما عداه من المعاني ، وإن كانت مما جاء به القرآن .

(ب) <u>ندرة استعمال الكلمة قديماً بالمعنى المتروك ، والاستغناء عنها بمرادفات أكثر شهرة :</u>

من ذلك مثلاً كلمة : " رزق " ، ومن معانيهـا في اللغة – فضلاً عما ينتفع به – الشكر ، وبه جـاء قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٦) ، واليوم لا يستعمل الرزق بهذه الدلالة ؛ لندرة استعمالها في اللغة قديماً وحديثاً ، واستُغني عنها بالشكر والحمد والامتنان ونحوه .

---

[1] (الحج / ١٥) ، ويراجع زاد المسير (٥ / ٤١٤) ، والكشاف (٣ / ٨) .

[2] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (طير) .

[3] (الأنعام / ٣٨) .

[4] (يس / ١٨) ، ويراجع الكشاف (٣/ ٣١٨) ، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٦) .

[5] (الإسراء / ١٣) ، ويراجع الكشاف (٢ / ٤٤٠) ، والقرطبي (١٠ / ٢٢٩) .

[6] (الواقعة / ٨٢) ، ويراجع معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٠) ، وزاد المسير (٨/ ١٥٤) ، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٩٨) ، وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قرآها : وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنها أيضاً كلمة : " القطّ " ، وهي في اللغة : الهر ، وهي أيضاً : النصيب والصك وكتاب المحاسبة [1] . وجاءت في قوله تعالى : ﴿ ربَّنا عجّل لنا قطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] ، وقيل في تفسيرها : الصحيفة ، والحساب ، والقضاء ، والنصيب [3] . واليوم قد أهملت هذه الدلالات تماماً ؛ نظراً لقلة استعمالها ، والاستغناء عنها بأخرى ، نحو : نصيب وحظ ، أو صك وميثاق ... الخ .

ومثلها كلمة : " إمام " ، التي من معانيها الطريق الواضح في مثل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [4] ، ومن معانيها أيضاً : رئيس الناس ، ومن يؤتم به في الصلاة . ولكن المعنى الأول أُهمل في العامية وفصحى العصر ؛ نظراً لندرة استعماله في اللغة ، والاستغناء عنه بالطريق والسبيل ونحوهما .

ومن هذا أيضاً الفعل : " تمنّى " ، ومن معانيه في اللغة : ابتغى ، وكذب ، والكتاب قرأه ، والحديث اخترعه [5] . وقد جاء في القرآن بمعنى البُغية ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [6] ، وبمعنى القراءة والتلاوة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [7] . واليوم قد أُهملت دلالة القراءة لقلة استعمالها بلفظ تمنّى واستغنائهم عنه بأفعال أكثر شهرة مثل : قرأ وتلا ورتّل ... الخ .

ومثله الفعل : " أَذِنَ " ، يقال : أذن له : أباح له ، واستمع إليه ، وأذن به :

---

[1] القاموس المحيط (قطط) ويراجع اللسان والتاج والمعجم الوسيط .

[2] (سورة ص / ١٦) .

[3] زاد المسير (٧ / ١٠٨ ، ١٠٩) ، ويراجع معاني القرآن للفراء (٢ / ٤٠٠) .

[4] يراجع زاد المسير (٤ / ٤١٠) ، وتفسير القرطبي (١٠ / ٤٥) .

[5] يراجع اللسان والقاموس والتاج (مني) ، والفروق اللغوية (ص / ١٠٠) .

[6] (النساء / ١٢٣) .

[7] (الحج / ٥٢) ، ويراجع معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٢٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علم [1] . وقد جاء القرآن بالمعاني الثلاثة : الأول في نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ [2] ، والثاني في نحو : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [3] ، والثالث في نحو : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [4] . أما الآن فإن المعنى الأول فقط هو المستعمل ، وأهمل الآخران لاستغنائهم عنهما بمثل : استمع وأصغى وأنصت للثاني ، وبمثل : علم وعرف ودرى للثالث .

٢. ما تخصصت دلالته لتجنب اختلاط المعاني :

قد تتعدد دلالات اللفظ الواحد ، وهو ما يطلق عليه : المشترك اللفظي ، وقد يؤدي ذلك إلى تداخل المعاني وسوء الفهم ، فتعمد الجماعة اللغوية إلى تمييز الدلالات ، فتحاول إفراد لفظ لكل دلالة يخالف ألفاظ الدلالات الأخرى ، فينشأ عن ذلك أن تُهمَل بعض المعاني للفظ ما وتبقى معانٍ أخرى ، وعادةً ما يكون المُهمَل هو الأقل استعمالاً ، أو أن المستعمل هو الأكثر دوراناً .

من ذلك مثلاً كلمة : " الأجر " ، وقد وردت كثيراً في القرآن بمعنى جزاء العمل ، كما وردت بمعنى صداق المرأة في خمسة مواضع [5] . والأجر في اللغة الجزاء على العمل ، والذِكر الحسن ، والمهر . وأَجَرَ العَظْمَ : بَرَأ على عَثَم وأَجَرَ المملوك أكراه [6] .

أما اليوم فإن كلمة الأجر لا تستعمل بمعنى المهر والصداق ، بل قد يكون في استعمالها بهذه الدلالة سوء فهم كبير ، ولنا أن نتصور ما قد يقع في نفس

---

[1] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (أذن) .
[2] (يونس / ٥٩) .
[3] (الانشقاق / ٢ ، ٥) ، ويراجع زاد المسير (٩ / ٦٢) .
[4] (البقرة / ٢٧٩) ، ويراجع الكشاف (١/ ٤٠١) ، وزاد المسير (١/ ٣٣٣) .
[5] (النساء/ ٢٤ ، ٢٥) ، (المائدة/ ٥) ، (الأحزاب/ ٥٠) ، (الممتحنة/ ١٠) .
[6] القاموس (أجر) ، ويراجع اللسان والتاج والمعجم الوسيط .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السامعين عند سماعهم قولك : تزوجت امرأة وأعطيتها أجرها .

ومنه كلمة : " رجـــال " ، وقد وردت كثيراً في القرآن جمعاً لكلمة رجل ، ووردت مرتين جمعاً لكلمة " راجل " خلاف الراكب ، في قوله تعالى : ﴿ فإنْ خفتمْ فرجالاً أوْ رُكْباناً ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وأذِّنْ في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ ﴾ [2] . واليوم لا تستعمل هذه الكلمة إلا بالمعنى الأول ، ولو استعملت بالثاني لالتبس المعنيان ، فاقتصر دلالة الكلمة على جمع رجل .

ومن ذلك كلمة " اختلاف " بمعنى التعاقب والتردد ، في نحو قوله تعالى : ﴿ اخْتلافِ اللّيْلِ والنّهارِ ﴾ [3] ، وبمعنى التباين وعدم الاتفاق ، في نحـــو قوله تعالى : ﴿ واخْتلافُ ألْسنتكُمْ وألْوانكُمْ ﴾ [4] . واليوم قـــد أُفردت الكلمة للمعنى الأول فقط ؛ لئلا تلتبس المعاني ، ولا سيما أن المعنى الثاني له مترادفات أشهر من لفظ الاختلاف ، مثل : تعاقب وتردد وتوالي وتتابع .

* هذا وقد يكون السبب في اختلاط الدلالات هو تطابق الصيغ ، ومثاله الفعل "يُنْظَرُونَ" مبنيـــاً للمفعول من الفعل يَنْظُر المجرد بمعنى رؤية العين ، والفعل يُنْظِر المزيدة فيه الهمزة بمعنى الإمهال ، وهو في القرآن بالمعنى الثاني [5] . ومع هذا فإن الجماعة اللغوية الآن قد أفردت – في العامية وفصحى العصر –

---

[1] (البقرة / ٢٣٩) .

[2] (الحج / ٢٧) .

[3] (البقرة / ١٦٤) ، (آل عمران / ١٩٠) ، (يونس / ٦) ، (المؤمنون / ٨٠) ، (الجاثية / ٥) .

[4] (الروم / ٢٢) .

[5] مواضعه: (البقرة / ١٦٢) ، (آل عمران / ٨٨) ، (الأنعام / ٨) ، (النحـــل / ٨٥) ، (الأنبياء / ٤٠) ، (السجدة / ٢٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـذا الفعل للدلالة على رؤية العين لتـلافي – فيما أرى – تداخـل المعاني ، لاسيما أن المعنى الثاني له مترادفات عديدة كالإمهال والإبطاء والانتظار .

ومثل ذلك الفعل : " قَاسَمَ " ، في قوله تعـالى : ﴿ وقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [1] ، بمعنى حلف وأقسم ، وهو في اللغة كذلك ، فضلاً عن معنى القسمة ، وأن يأخذ كلٌّ نصيبه . ولئلا تختلط معاني الفعل خُصّص لمعنى تقسيم الحقوق ، واستغني عن المعنى الآخر بصيغته الأشهر وهي : أفعل (أَقْسَمَ) .

ومنه أيضـاً اسم الفاعل : " قانع " ، في قول الله تعالى : ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ [2] ، وتفسيره : المسكين السائل [3] ، وهو في اللغة – فضلاً عن هذا المعنى – الراضي بما أُعطِيَ [4] . ولتمييز الدلالات اختُصَّ القـانع الآن في العامية وفصحى العصر بالمعنى الثاني .

ومثله كلمة : " قائلون " في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَـاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [5] ، وهي اسم فاعل من قال يقيل ، من القيلولـة : نومة منتصف النهار ، وهي أيضاً اسم فاعل من قال يقول . ولكنها الآن أُفرِدت للمعنى الثاني ؛ لئلا تلتبس الدلالتين ، ولاسيما أن معنى القول أكثر شهرة .

ومثل هذا الفعل : " ادّعى " في مثل قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [6] ،

---

[1] (الأعراف / ٢١) .

[2] (الحج / ٣٦) .

[3] يراجع معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٢٦) ، ومجاز القرآن (٢ / ٥١) .

[4] في السائل يقال : قَنَعَ يَقْنَع قنوعة ، أما في الرضا فيقال : قَنِعَ يَقْنَع قناعة . يراجـع تفسير غريب القرآن (ص / ٢٩٣) .

[5] (الأعراف / ٤) .

[6] (فصلت / ٣١) ، ويراجع (يس / ٥٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو على يفتعلون من الدعاء " أي يتمنون ، ومنه قولهم : هو خير ما ادّعى ، أي ما تمنى ، والعرب تقول : ادّع ما شئت . قال الزجاج : هو مأخوذ من الدعاء ، والمعنى : كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم " [1] . ومن معانيه أيضاً يزعمون ، حقاً كان الزعم أم باطلاً ، فهو من الدعوى لا من الدعاء [2] .

والآن أُفردت صيغة الافتعال من هذا الفعل للمعنى الثاني ، واكتُفي للمعنى الأول بأصل الفعل (دعا) ؛ لئلا تلتبس الدلالتان .

وربما كان تعدد اللغات سبباً في اختلاط الدلالات ، كما في الفعل " خرق " في قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ [3] ، وهو في التفسير : اختلقوا وادّعوا [4] ، وفي اللغة : " الْخَرْق : الفُرْجة والشَّقُّ في الحائط والثوب ونحوه والتَّخَرُّق لغة في التَّخَلُّق من الكذب ، وخَرَقَ الكذب ... اختلقه " [5] .

ومع أن الفعل " خرق " قد جاء في القرآن بمعنى الاختلاق والادّعاء إلا أنه لمّا أُريد التمييز بين المعاني أُفرد الفعل لمعنى الشق والفرجة [6] .

٣. ما تخصصت دلالته لندرة المترادفات :

قد يجتمع للفظ الواحد معنيان ، أحدهما نادر المترادفات ، ومع إرادة تمييز المعاني فإن الجماعة اللغوية تجعل اللفظ لهذا المعنى ، وتكتفي للمعنى الآخر الأكثر ترادفات بمرادفاته الأخرى ، وعليه يُهمَل استعمال اللفظ بهذا المعنى .

---

[1] زاد المسير (٧ / ٢٩) .

[2] يراجع اللسان والمعجم الوسيط (دعو) .

[3] (الأنعام / ١٠٠) .

[4] يراجع معاني القرآن للفراء (١ / ٣٤٨) ، وتفسير القرطبي (٧ / ٥٣) .

[5] اللسان (خرق) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[6] جاء في القرآن : خرق بمعنى الشق والفرجة في ثلاثة مواضع : (الكهف / ٧١ ، ٧٩) ، (الإسراء / ٣٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ذلك كلمة : " جُنُب " ، يقال : جـــار جُنُب ، وهو الذي جاورك من قوم آخرين ، وبمعنى : البعيد ، وكذا : المَنِيُّ من الجنابة من جِماع أو احتلام [1] . وقد جاءت في القرآن بالمعاني الثلاثة جميعاً : الأول في قوله تعالى : ﴿ والْجَارِ الْجُنُبِ ﴾[2] ، والثاني في قوله تعالى : ﴿ فَبَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾[3] ، والثالث في قوله تعالى : ﴿ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ﴾ [5] . ولما كان الجُنُب بالمعنى الأخير نادر المترادفات ، إن لم يكن معدومها ، ولما أريـــد التمييز بين المعاني اقتصرت الكلمة عليه ، ثم استُعيض عن الأولين بمترادفاتهما .

ومنه الفعل " يعرج " ، ومن معانيه : " عَرَجَ يَعْرُجُ وعَرُجَ وعَرِجَ عرجاناً: مشى مشية الأعرج ، فغمز من شيء أصابه ، وعرج في الدرجة والسُّلَّم يَعْرُجُ عُرُوجاً ، وعَرَجَ في الشيء وعليه يعرجُ ويعْرُجُ عُرُوجاً أيضاً : رقي " [6] . ولم يأت هذا الفعل في التنزيل إلا بالمعنى الثاني [7] . ومع هذا فإن هذا الفعل يراد به الآن المعنى الأول فقط لا سيما في العامية ؛ وذلك لندرة مترادفات هذا المعنى ، وكثرة مترادفات الآخر ، فاستغني للآخر بمثل : صعد ورقى وعلا .

---

[1] يراجع اللسان والقاموس والتاج وأساس البلاغة (جنب) .

[2] (النساء / ٣٦) .

[3] (القصص / ١١) .

[4] (النساء / ٤٣) .

[5] (المائدة / ٦) .

[6] اللسان (عرج) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[7] انظـــر الآيات : (الحجر / ١٤) ، (السجدة / ٣٢) ، (سبأ / ٢) ، (الحديـــد / ٥٧) ، (المعارج / ٧٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤. ما تطورت دلالته بسبب غياب مسمى المعنى المتروك في الواقع :

قـد يجتمع للفظ الواحد معنيان فيموت أحدهما لزوال مسماه ، مثال ذلك من الألفاظ القرآنية كلمة : " أقلام " في قول الله تعالى : ﴿ وما كُنْتَ لديْهِمْ إِذْ يُلْقُون أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يكْفُلُ مرْيَم ﴾ (١) ، وهي بمعنى السهام التي يُقترع بها (٢) . ومن معانيها في اللغة أيضاً أداة الكتابة المعروفة (٣) . والآن قد أُهمل المعنى الأول تماماً لزوال مسماه ، فلم تعد القرعة تُضرب بالسهام كما كان سابقاً .

ومن ذلك أيضاً كلمة : " السرد " في قول الله تعـالى : ﴿ أنِ اعْمَلْ سَابِغاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ (٤) ، وهي في التفسير : نسج الدروع (٥) ، ومن معانيهـا في اللغة أيضاً التتابع والموالاة ، يقال : سرد الصوم تابعه ، وسرد الحديث أتى به على وِلاء جيد السياق (٦) . والآن اقتصرت دلالة السرد على المعنى الثاني؛ لأن مسمى المعنى الأول قد زال وانقرض ، وهو الدرع الحديدي المسرَّد .

٥. ما تطورت دلالته نتيجة التطور الاجتماعي والحضاري :

قد يكون للفظ معنيان ، فينفرد أحدهما باللفظ وينزوي الثاني ، لا لشيء إلا لأن الأول هو أقرب إلى الحيـاة الاجتماعية والحضارية للجماعة اللغوية ، من ذلك مثلاً كلمة : " مصانع " ، وهي اسم مكان من الفعل (صنع) ، ومن ثم فإن معناها : الأماكن التي تمارس فيها الصناعة . ومن معانيها الأخرى في اللغة : القصور والحصون وحياض الماء ، وقد جاءت بالمعاني الأخـرى فـي قولـه

---

1 (آل عمران / ٤٤) .

2 يراجع الكشاف (١ / ٤٢٩) ، واللسان والقاموس (سهم) .

3 ورد هذا المعنى في الآيات : (لقمان / ٢٧) ، (القلم / ١) ، (العلق / ٤) .

4 (سبأ / ١١) .

5 يراجع الكشاف (٣ / ٢٨٢) ، وزاد المسير (٦ / ٤٣٧) .

6 يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (سرد) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى ﴿ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ [1] . والآن لا تطلق هذه الكلمة إلا على الأماكن التي تُمارَس فيها الصناعة ؛ ذلك لما لحق البشرية اليوم من تقدم حضاري وتوسع صناعي ، انتشرت على إثره المصانع بهذا المعنى .

ومن ذلك أيضاً كلمة : " قرية " ، التي كثر ذكرها في القرآن مفردة ومثنى ومجموعة ، وهي في اللغة : " المصر الجامع ، والقرية من المساكن والأبنية والضياع . وقد تطلق على المدن " [2] ، غير أن دلالتها اليوم قد اقتصرت على البلدة الصغيرة ، وفي العادة تكون في الأرياف أو أطراف المدن ، وأرى أن سبب ذلك هو ما أصاب النظم الإدارية في البلاد من تطور ، فتمايزت الأمكنة وخُصِّص لكل دلالة لفظ محدد ، كالدولة والإقليم والمدينة والمركز القرية .

ومن ذلك أيضاً كلمة : " السرادق " في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [3] ، والسرادق هو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مِضْرَب أو خِباء ، والحجرة التي تطيف بالفسطاط ، وأيضاً الدخان الشاخص المحيط بالشيء [4] . أما الآن فقد تخصصت دلالتها على الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم ؛ وذلك استجابة للعادات الاجتماعية المتوارثة ، فقد اعتاد الناس اليوم الاجتماع في الأعراس والمآتم في فسطاط له صفات خاصة ، وقد تخصص في صناعته وتركيبه حرفيون متخصصون .

---

[1] (الشعراء / ١٢٩) ، ويراجع الكشاف (٣/ ١٢٢) ، والقرطبي (١٣/ ١٢٣) ، ويراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (صنع) .

[2] اللسان (قرو) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[3] (الكهف / ٢٩) .

[4] يراجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (سردق) ، وكذلك مجاز القرآن (١ / ٣٩٨) ، وزاد المسير (٥ / ١٣٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦. ما تخصصت دلالته نتيجة التطور الثقافي (أثر الإسلام) :

من الثابت أن التطور الثقافي الذي أحدثه الإسلام قد نشأ عنه ظهور دلالات جديدة لألفاظ كانت مستعملة من قبل ، نحو : الإيمان و الإسلام و الكفر و النفاق و الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج ، وكلها كانت مستعملة بمعانٍ عامة فخصص الإسلام دلالتها [١] ، فصار كل لفظ منها يحمل معنيين : عاماً وخاصاً ، وقد يستعمل القرآن أحد هذه الألفاظ بالمعنيين جميعاً ، ثم نأت اليوم ونستعمل اللفظ بمعناه الخاص فقط ؛ متأثرين في ذلك بالثقافة الإسلامية .

من ذلك مثلاً كلمة : " أذان " ، وأصلها في اللغة الإعلام ، ومنه النداء إلى الصلاة خاصة ، وهو الإعلام بوقتها . وقد جاءت في القرآن بمعناها العام في قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٢] ، وجاء الفعلان الماضي و الأمر وكذا اسم الفاعل " أَذَّنَ ، أَذِّنْ ، مُؤَذِّن " بالمعنى نفسه [٣] . ومع هذا فإن هذه الألفاظ لا تستعمل اليوم في العامية وفصحى العصر إلا بمعنى النداء للصلاة ، وهو المعنى الإسلامي الخاص ؛ لتأثر الجماعة اللغوية بالثقافة الإسلامية .

ومنه كلمة : " الكفار " ، وأصل الكفر الستر والتغطية ، يقال : كفر الشيء كفراً : ستره وغطاه ، ويقال كفر الزارع البذر بالتراب ، فهو كافر [٤] . ومن معانيها الإسلامية عدم الإيمان بالوحدانية أو بالنبوة أو بالشريعة أو بثلاثتها، وقد وردت كثيراً في القرآن بالمعنى الخاص ، كما وردت بالمعنى العام في قول الله

---

[1] يراجع في ذلك : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد وآخرون ، ط٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، (١ / ١٩٤ ، ٢٩٥) .

[2] (الحج / ٣) .

[3] في الماضي (الأعراف / ٤٤) ، (يوسف / ٧٠) ، وفي الأمر (الحج / ٢٧) ، واسم الفاعل (الأعراف / ٤٤) ، (يوسف / ٧٠) .

[4] يراجع اللسان والقاموس والمعجم الوسيط (كفر) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى : ﴿ كمثل غيثٍ أعجب الكُفّار نباتُه ﴾ (١) . والآن لا تستعمل هذه الكلمة إلا بمعناها الإسلامي الخاص ؛ وذلك من جراء تفشي الثقافة الإسلامية .

ومثلها كلمة : " القرآن " ، وهي مصدر الفعل (قرأ) ، يقـال : قرأ قراءة وقرآناً ، ولما جاء الإسلام جعل لها معنى خاصـاً ، وهو كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف . وفي التنـزيل وردت كثيراً بالمعنى الخاص ، وبالمعنى العام في قوله : ﴿ إنّ علينا جمْعَهُ وقُرْآنَهُ فإذا قرأناه فاتّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٢) ، والآن أهمِل هذا المعنى ، وبقي المعنى الإسلامي الخاص .

ومنه أيضاً الفعل : " تيمموا " ، وأصل معناه قصد الشيء وتعمده وتوخيه . ومعناه الإسلامي الخاص : مسح اليدين والوجـه بالتراب عوضاً عن الوضوء وغُسل الجنابة ، وقد استُعمِل في القرآن بالمعنيين كليهما: الأول في قوله تعالى: ﴿ ولاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَهُ ﴾ (٣) ، والثاني في قوله : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّباً ﴾ (٤) . والآن أُهمِل المعنى العام ، وبقي المعنى الإسلامي الخاص .

وكذا : " السُّنة " ، ومن معانيها : الطريقة والسيرة حميدة كانت أم ذميمة . ومن معانيها الإسلامية سنته صلى الله عليـه وسلم : ما يُنسَب إليه من قول أو فعل أو تقرير ، والعمل المحمود الذي ليس فرضاً (٥) ، وقد وردت الكلمة ست عشرة مرة مفردة ومجموعة بالقرآن ، جاءت كلها بمعنى الطريقة ، أو حكم الله في خلقه ، ومع هذا فإنها تطلق الآن في العامية على المعاني الإسلامية فقط .

---

[1] (الحديد / ٢٠) ، ويراجـع الكشاف (٤ / ٦٥) ، وزاد المسـير (٨ / ١٧١) ، والبحر المحيط (٨ / ٢٢٤) ، وتفسير القرطبي (١٧ / ٢٥٥) .

[2] (القيامة / ١٧ ، ١٨) .

[3] (البقرة / ٢٦٧) .

[4] (النساء / ٤٣) ، (المائدة / ٦) .

[5] يراجع المعجم الوسيط (سنن) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❖ وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد يستعمل لفظاً بدلالته المتطورة عن المجاز ، ونستعمله نحن – الآن – بدلالته الأصلية الأولى . مثال ذلك :

كلمة : " عضد " ، وقد جاءت في القرآن مرتين بمعنى القوة ، في قوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [1] ، وبمعنى العون ، في قوله تعالى : ﴿ وما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ [2] . وأصله في اللغة : الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف . قال ابن فارس : " يستعار في موضع القوة والمعين " [3] ، وقال ابن منظور : " والعضد القوة ؛ لأن الإنسان إنما يقوى بعضده " [4] ، وجعل الزمخشري معنى القوة والعون من المجاز [5] .

أما الآن فإن كلمة عضد تستعمل في فصحى العصر لا يُقصَد بها إلا عضو الإنسان المسمى بالساعد وهو الأصل ، وأُهمِل المعنى المتطور عن المجاز .

ومن هذا الباب الفعل " مسَّ " ، وأصله اللغوي اللمس باليد " يقال : مسستُ الشيء أمسُّه مسًّا إذا لمسته بيدك ، ثم استعير للأخذ والضرب ؛ لأنهما باليد ، واستعير للجماع ؛ لأنه لمس ، وللجنون ؛ كأن الجن مسته " [6] .

وقد ورد الفعل بمعنى الجماع في سبع مواضع بالقرآن [7] ، ومع هذا فإنه لا يطلق اليوم إلا على دلالته الأصلية (اللمس باليد) وحسب .

---

[1] (القصص / ٣٥) .

[2] (الكهف / ٥٠) .

[3] مقاييس اللغة (٤ / ٣٤٨) .

[4] اللسان (عضد) ، ويراجع القاموس والتاج .

[5] أساس البلاغة (عضد) .

[6] اللسان (مسس) ، ويراجع القاموس والتاج . وجعل ابن فارس الميم والسين أصلاً واحداً يدل على جس الشيء باليد . [مقاييس اللغة (٥ / ٢٧١)] .

[7] (البقرة / ٢٣٦ ، ٢٣٧) ، (آل عمران / ٤٧) ، (مريم / ٢٠) ، (الأحزاب / ٤٩) ، (المجادلة / ٣ ، ٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثل هذا كلمة : " حبل " . وأصـــل الحبل في اللغة الرباط ، ويطلق على العهد والذمة والأمان والتواصل [١] ، وهي معانٍ متطورة عن المجاز ؛ وذلك لما في هذه الدلالات من معنى إحكام الرباط والوثاق ، ولذلك جعل الزمخشري هذه المعاني من المجاز [٢] . وقد وردت الكلمة بمعنى الصلة في مواضع ثلاثة بالقرآن [٣] . أما اليوم فإنها لا تستعمل إلا بدلالتها الأصلية ، وأُهملت الدلالات الأخرى المتطورة عن المجاز .

ومثلها اسم الفاعل : " مُبْصِر ، مُبْصِرَة " ، وأصله اللغوي من البصر الذي هو العلم بالأشياء بوساطة رؤية العين لها ، ثم تطورت إلى معنى الإضـــاءة . وقد وردت في القرآن خمس مرات بهذه الدلالة [٤] ، " وقال الفراء : مُبصِرة : مضيئة ، كما قال عز مِن قائل : ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي مضيئاً " [٥] ، وقال الزمخشري : " ومن المجاز : هذه آية مبصرة " [٦] .

واليوم لا يطلق هذا الوصف إلا على الإنسان سليم البصر نقيض الأعمى ، وأُغفلت الدلالة المتطورة عن المجاز التي جاء بها القرآن .

ومثله الفعل : " رمى " ، وهو في أصل اللغة نبذ الشيء وإلقائه ، وجاء في القرآن أيضـــاً بمعنى الاتهام بالفاحشة ، ويبدو أن هذا مما تطور عن المجـــاز وكأن الفاحشة سهم يُرمَى به المتهم . ومع هذا فإننـــا اليوم لا نستعمل الفعل إلا بدلالته الأصلية الأولى ، وأغفلنا الدلالة المتطورة عن المجاز .

---

[1] يرجع اللسان والقاموس والتاج والمعجم الوسيط (حبل) .

[2] يراجع أساس البلاغة (حبل) .

[3] (آل عمران / ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٢) .

[4] (يونس / ٦٧) ، (الإسراء / ١٢) ، (النمل / ١٣ ، ٨٦) ، (غافر / ٦١) .

[5] اللسان (بصر) ، ويراجع القاموس والتاج والمعجم الوسيط .

[6] أساس البلاغة (بصر) ، ويراجع مقاييس اللغة (١ / ٢٥٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً : الألفاظ المنقرض استعمالها في العامية وفصحى العصر

سبقت الإشارة إلى أن انقراض الألفاظ يعد ظاهرة من الظواهر اللغوية التي فرضت نفسها على الواقع اللغوي ، وهي نوع من أنواع التطور اللغوي بوجه عام ، وقلنا إنه لن يجد المرء صعوبة في ملاحظة هذه الظاهرة بمجرد الاطلاع على معجم شعري لأحد شعراء الجاهلية ، وقلنا أيضاً إن بعض ألفاظ القرآن قد أصابها شيء من هذه الظاهرة على المستويين العامي وفصحى العصر [١] .

وسوف أتناول طرفاً من هذه الألفاظ منطلقاً من أسباب هذه الظاهرة ، وعلى الرغم من تعدد هذه الأسباب إلا أنه يمكن إجمالها في سببين رئيسين ، يرجع أحدهما إلى عوامل صوتية ، والآخر إلى عوامل معنوية ، وأود الإشارة إلى أنه قد يعتور سببان أو أكثر من أسباب الانقراض على اللفظ الواحد .

١. ما هُجِرَ من الألفاظ القرآنية لأسباب صوتية :

بعض ألفاظ اللغة يثقل النطق بها على اللسان ، فيترتب على ذلك هجرها ، ومن ثم انقراضها ، ولهذا الثقل أسبابه الصوتية ، نذكر منها :

- تجاور الأصوات المتقاربة الصفات والمخارج ، ومن أمثلتها في القرآن كلمة : " تفث " في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ [٢] ، فصوتا الفاء والثاء من الأصوات الرخوة المهموسة المستفلة ، فضلاً عن تقارب مخرجيهما ، فالفاء أسناني شفوي ، والثاء أسناني [٣] .

---

[1] أُذَكِّر بأن هجر هذه الألفاظ القرآنية على هذين المستويين فحسب ، أما على مستوى فصحى التراث التي اقتصر استعمالها على بعض المحافل الدينية والعلمية فلا .

[2] (الحج / ٢٩) .

[3] تراجع هذه المعلومات الصوتية وما بعدها بجدول صفات الأصوات ومخارجها في مناهج البحث في اللغة : تمّام حسّان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م ، (ص / ١٥٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثلها كلمة : " مزجاة " في قوله تعالى : ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ (١) ، فالزاي والجيم متقاربان في الصفات ، فهما صوتان مجهوران مستفلان منفتحان ، وزاد من صعوبة النطق أن الجيم الفصيحة صوت مركب مزدوج .

- تجاور الأصوات المتباينة الصفات وإن اتحدت المخارج أو تقاربت ، ومثله كلمة : " ضيزى " في قوله تعالى : ﴿ تلك إذا قسمة ضيزى ﴾ (٢) ، فالصاد والزاي مخرجهما واحد (أسنانيان لثويان) ، ولكن الضاد شديد مستعل مطبق والزاي رخو مستفل منفتح .

ومثلها كلمة : " باخع " في قول الله تعالى : ﴿ باخع نفسك ﴾ (٣) ، فالخاء والعين متقاربان في المخرج ، فقد جعلهما الخليل وسيبويه ومن نحا نحوهما من أصوات الحلق ، وفصل المحدثون : فجعلوا العين حلقيا والخاء طبقيا ، وإن كانت صفاتهما متباينة ، فالعين مجهور مستفل والخاء مهموس مستعل .

- ومن الملاحظ في العربية أن الكلمة يكثر احتمال تعرضها للانقراض كلما طالت ، وزادت حروفها الأصول ، ومثال ذلك الكلمات : كنهبل ، جحمرش ، سقحطب ... الخ . ومن أمثلة القرآن قوله تعالى : ﴿ قمطريرا ﴾ (٤) ، طالت الكلمة – وهي رباعية الأصول – فتعرضت للانقراض .

٢. ما هجر من الألفاظ القرآنية لأسباب دلالية :

من هذه الأسباب :

- غموض معنى الكلمة ؛ لأن استعمال الكلمات مرهون بفهم معانيها ، فإذا انغلق معنى الكلمة أهملت في الاستعمال ، ومن ثم انقرضت ، ومن أمثلة ذلك

---

١ (يوسف / ٨٨) .

٢ (النجم / ٢٢) .

٣ (الكهف / ٦) ، (الشعراء / ٣) .

٤ (الإنسان / ١٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في القرآن قول الله تعالى : ﴿ كِفَاتاً ﴾ (١) ، ومعناها وعاء لضم الخلائق على ظهرها (٢) . وكذلك قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ (٣) ، ومعناها دعيّ مُلْصق بقومه أو شرير (٤) . وكذا قوله عز وجل : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ (٥) ، ومعناها خضراوان شديدتا الخضرة (٦) . وقوله : ﴿ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ (٧) ، والخمط ثمر مر حامض بشع ، والأثل ضرب من الطُرْفاء (٨) . وقوله تعالى : ﴿ الْمُعْتَرَّ ﴾ (٩) ، وهو الذي يتعرض لكم دون سؤال (١٠) . وقوله : ﴿ أَرْكَسَهُمْ ﴾ (١١) ، أي نكّسهم وردهم إلى حكم الكفر (١٢) . وكلها كلمات غابت معانيها عن الجماعة اللغوية فهجرتها ، ومن ثم انقرضت في الاستعمال .

- ومن الأسباب الدلالية كذلك انقراض مسمى الكلمة في الواقع اللغوي ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى : ﴿ الأَزْلاَمُ ﴾ (١٣) ، وهي قداح معلّمة تقوم عليها

---

[1] (المرسلات / ٢٥) .

[2] كلمات القرآن تفسير وبيان : حسنين محمد مخلوف ، ط١ ، مؤسسة الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٦٦م ، (ص / ٣٥١) .

[3] (القلم / ١٣) .

[4] كلمات القرآن تفسير وبيان ، (ص / ٣٣١) .

[5] (الرحمن / ٦٤) .

[6] كلمات القرآن تفسير وبيان ، (ص / ٣٠٧) .

[7] (سبأ / ١٦) .

[8] كلمات القرآن تفسير وبيان ، (ص / ٢٣١) .

[9] (الحج / ٣٦) .

[10] كلمات القرآن تفسير وبيان ، (ص / ١٨٣) .

[11] (النساء / ٥٨) ، ويراجع أيضاً (النساء / ٩١) .

[12] كلمات القرآن تفسير وبيان ، (ص / ٥١) .

[13] (المائدة / ٩٠) ، ويراجع أيضاً (المائدة / ٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرعة كانت معروفة في الجاهلية ، ولكن القرعة اليوم لا تضرب بها ، ومن ثم انقرضت هذه القداح فانقرض لفظها . ومثلها : " بحيرة ، سائبة ، وصيلة ، حام " في قول الله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ [1] ، وكلها صفات للإبل التي تترك للطواغيت ، وقد اختلف المفسرون في تأويلها [2] . ولم تعد هذه الصفات قائمة اليوم فانقرضت ألفاظها .

- ومن الأسباب الدلالية أيضاً التلطف في التعبير ، فربما كان للفظ معنى يثير الخجل أو الاستقباح ، فلما كثر استعماله بهذا المعنى استعاضت الجماعة اللغوية عنه بآخر أكثر تلطفاً ، فانقرض الأول ، ثم لا يلبث الثاني أن ينقرض ليحل محله ثالث أكثر تلطفاً للسبب نفسه . ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ الغائط ﴾ [3] ، وهي كلمة يكنى بها عن قضاء الحاجة أو مكانه ، وقد استعيض عنها اليوم بألفاظ ، نحو : الحمّام ، بيت الراحة ، (wc) ... الخ .
- وتعد ظاهرة الترادف من أهم أسباب انقراض الألفاظ ؛ لأن الجماعة اللغوية تجد للمسمى الواحد لفظين أو أكثر ، فتنتقي الأسهل والأشهر وتترك الآخر حتى ينقرض . ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى : ﴿ منسأته ﴾ [4] ، استعيض عنها بمرادفها : العصا . وكذلك الفعل : ﴿ قدّت ... قدّ ﴾ [5] ، استعاضوا عنه بمرادفه : قطع . وكذا قوله تعالى : ﴿ مِرّة ﴾ [6] ، استعاضوا عنها بمرادفها :

---

[1] (المائدة / ١٠٣) .

[2] تراجع معانيها بمعاني القرآن للفراء (١ / ٣٢٢) ، وزاد المسير (٢ / ٤٣٦) وما بعدها ، وتفسير القرطبي (٦ / ٣٣٦) وما بعدها .

[3] (النساء / ٤٣) ، (المائدة / ٦) .

[4] (سبأ / ١٤) .

[5] (يوسف / ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) .

[6] (النجم / ٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوة . وكذا قوله تعالى : ﴿ حنيذ ﴾ [1] ، استعاضوا عنها بمرادفها : مشوي .

وقوله تعالى : ﴿ يعزُبُ ﴾ [2] ، استعاضوا عنه بمرادفها : يغيب .

وهناك طائفة أخـــرى كبيرة من الألفاظ القرآنية قد هُجر استعمالهـــا على مستوى العامية وفصحى العصر ، واستُغني عنها بمرادفات أكثر سهولة أو أكثر شهرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

يَعْمَهُونَ ، صَيِّبٍ ، جَنَفاً ، تَعْضُلُوهُنَّ ، يَؤُودُهُ ، الأكْمَه ، حُوباً ، يُبَتِّكُنَّ ، يَجْرِمَنَّكُمْ ، شَنَآنُ ، رِجْـــزٌ ، وَلِيجَـــةً ، نَمِيرُ ، تُسِيمُونَ ، دَاخِـــرُونَ ، ذُلُوك ، الْوَدْقَ ، خَتَّـــارٍ ، صَيَاصِيهِمْ ، غَرَابِيبُ ، لُغُوبٌ ، تَبَابٍ ، مَوْضُونَةٍ ، لِلْمُقْوِين ، أَغْطَشَ ، زَرَابِيُّ ، طَحَاهَا ، دَسَّاهَا [3] . وغير ذلك كثير .

---

[1] (هود / ٦٩) .

[2] (يونس / ٦١) ، (سبأ / ٣) .

[3] يراجـع على الترتيب الآيـات : (البقـــرة / ١٥ ، ١٩ ، ١٨٢ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤) ، (آل عمران /٤٩) ، (النساء /٢ ، ١١٩) ، (المائدة / ٢ ، ٢) ، (الأعراف / ١٣٤) ، (التوبة /١٦) ، (يوسف / ٦٥) ، (النحل /١٠ ، ٤٨) ، (الإسراء / ٧٨) ، (النور / ٤٣) ، (لقمان / ٣٢) ، (الأحزاب / ٢٦) ، (فاطر / ٢٧ ، ٣٥) ، (غافر /٣٧) ، (الواقعة /١٥ ، ٧٣) ، (النازعات /٢٩) ، (الغاشية / ١٦) ، (الشمس / ٦ ، ١٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نتائج البحث

يتبين مما سبق أن كثيراً من ألفـاظ القرآن الكريم قد تطورت دلالاتها في الاستعمـال اللغوي الحديث ، سواء على مستوى الاستعمـال العامي ، أم على مستوى فصحى العصر ، أمـا على مستوى فصحى التراث التي لا تستعمل إلا في بعض المحافل الدينية والعلمية فإن هذه الألفـاظ مازالت محتفظة بدلالاتها التي نزل بها القرآن وجاءت بها اللغة ، وذلك أمر مرهون بحفظ النص القرآني الشريف نفسه . ومظاهر هذا التطور تتلخص في ثلاثة :

١. ألفاظ اتسعت دلالاتها .
٢. ألفاظ خُصِّصت دلالاتها .
٣. ألفاظ هُجِر استعمالها .

- وقد تبيّن أن من أسباب اتساع الدلالة :

١. انتقال الدلالة ، سواء أكان بسبب التشابه ، أم لغير التشابه ، كانتقال الدلالة المادية إلى معنوية ، أو لعلاقـة السببية ، أو المسببية ، أو مراعـاة لأصل المسمى ، أو للمبالغة ، أو المجاورة ، أو لاختلاف مجال الاستعمال .
٢. الانحراف اللغوي ، وتبيّن أن منشأه الخطأ في : الفهم ، أو الصيـاغة ، أو القياس ، أو النطق .
٣. ظهور الحاجة .
٤. اختصار العبارة
٥. تطور المسمى نفسه .
٦. التلطف في التعبير

وقد ظهر أن أكثر الأسباب تأثيراً في تطور الألفاظ القرآنية هو : انتقال الدلالة ، ثم الانحراف اللغوي ، ثم ظهور الحاجة .

- أما ما تخصصت دلالته فقد تبيّن أن أسباب هذا التطور :

١. كثـرة الاستعمال ، وهذه الكثرة مرجعهـا إلى شهرة المعنى المستعمل فيه اللفظ دون غيره من المعاني ، أو ندرة استعمال اللفظ بالمعنى المتروك .
٢. تجنب اختلاط المعاني ، ومحاولة التخفف من المشترك اللفظي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣. ندرة المترادفات .
٤. غياب مسمى المعنى المتروك .
٥. التطور الاجتماعي والحضاري .
٦. تأثير الثقافة الإسلامية .

وقد تبيّن للباحث أن من الألفاظ القرآنية ما يحمل معنى متطوراً عن معنى أصلي ، ولكنه يستعمل حديثاً بمعناه الأصلي دون المعنى المتطور .

- أما الألفاظ التي هُجِر استعمالها ، فقد تبيّن أن سبب هجرها يرجع إلى :

١. أسباب صوتية ، منها :
   - تجاور الأصوات المتقاربة الصفات والمخارج .
   - تجاور الأصوات المتباينة الصفات وإن اتحدت مخارجها أو تقاربت .
   - طول الكلمة وزيادة حروفها الأصول .
٢. أسباب دلالية ، منها :
   - غموض معنى الكلمة .
   - زوال المسمى نفسه .
   - التلطف في التعبير .
   - الترادف .

❖ وأخيراً وبناء على ما تقدَّم يوصي الباحث بما يلي :

١. استعمال الكلمات المهجورة في الكتب الدراسية للناشئة بشكل متدرج ، كي لا تنقطع الجماعة اللغوية عن ألفاظ القرآن ، ومن ثم عن فهمه .
٢. تدريب الناشئة على النطق السليم ، وإخراج الأصوات من مخارجها الصحيحة ، وذلك عند قراءة القرآن أو أي نص عربي غيره .
٣. التركيز - فيما يَجِدُّ من تفاسير - على شرح الألفاظ التي تطورت دلالاتها في الاستعمال الحديث ، وذلك في كل عصر .
٤. الرجوع إلى تفاسير القرآن المعروفة لفهم الآيات ، وعدم الاعتماد على المفاهيم العامية للألفاظ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. الإبدال : ابن السِّكِّيت ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٣. الأجناس من كلام العرب ومـــا اشتبه في اللفـــظ واختلف في المعنى : المنسوب لأبي عبيد ، تحقيق عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة ، القاهرة .

٤. الأخطـــاء الشائعة وأثرهـــا في تطور اللغة : ماجـــد الصايغ ، ط ١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠م .

٥. أساس البلاغة : الزمخشري ، مطابع الشعب ، ١٩٦٠م .

٦. الأصوات اللغوية : أنيس إبراهيم ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٧. البحر المحيط : أبو حيان ، دار إحياء التراث العربي .

٨. البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتب دار التراث ، القاهرة .

٩. تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، لا . ط ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .

١٠. التطور اللغوي : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

١١. تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٧٨م .

١٢. تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

١٣. ثلاثة كتب في الأضداد: الأصمعي والسجستاني وابن السكيت ، نشرها أوجست هفنر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤. الجامع لأحكام القـــرآن : القرطبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٥. جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية : عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

١٦. دراسات في علم اللغة : كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ١٩٩٨م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧. دراسة المعنى عند الأصوليين : طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية .
١٨. دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
١٩. دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، ترجمة كمال بشر ، ط ١٢ ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
٢٠. زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي، ط٣ ، بيروت .
٢١. علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، ط٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
٢٢. علم اللغة : علي عبد الواحد وافي ، ط٩ ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
٢٣. علم اللغة الاجتماعي : صبري إبراهيم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م .
٢٤. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) : محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
٢٥. العمدة في غريب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق يوسف عبد الرحمن ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م .
٢٦. الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٧. في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو القاهرة ، ١٩٨٤م .
٢٨. القاموس المحيط : الفيروزآبادي ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٢٩. الكشاف : الزمخشري ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٧٢م .
٣٠. كلمات القرآن تفسير وبيان : حسنين محمد مخلوف ، ط١ ، مؤسسة الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .
٣١. لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
٣٢. اللغة : فندريس ، ترجمة الدواخلي و القصاص ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
٣٣. مجاز القرآن: أبو عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٤. مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨٠م .
٣٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد وآخرين ، ط٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٣٦. معاني القرآن : يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتي ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م .
٣٧. المعجم الوسيط : المجمع اللغوي ، دار الدعوة ، إستانبول – تركيا .
٣٨. المعرب من الكلام الأعجمي : الجواليقي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
٣٩. مقاييس اللغة : ابن فارس ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
٤٠. مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ، حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣م .
٤١. مناهج البحث في اللغة : تمام حسّان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner